

تدبير

الجزء الاول



احمد يعقوب

مُتَلَبِّدٌ

أحمد يعقوب

بقلم (ك) للنشر الإلكتروني

تصميم الغلاف : حبيبة محمد

تصميم داخلي : غادة عبد الرحمن

تعبئة وتنسيق : مها الجندي

تدقيق لغوي : سناء حسن

مراجعة وتدقيق نهائي : هبة الله عيسى

فريق عمل بقلم(ك) للنشر الإلكتروني

تحت إشراف:

غادة عبد الرحمن & دينا عبد الفتاح

تذكر أنك قرأت هذا على موقع

[دار بقلم\(ك\) للنشر الإلكتروني](#)

[كتب دار بقلم\(ك\) للنشر الإلكتروني](#)

انشر معنا على الموقع وتواصل معنا مباشرة

«»» [للنشر و الإعلان و التواصل معنا اضغط هنا](#) «»»

بقلم(ك) للنشر الإلكتروني



بقلم(ك) للنشر الإلكتروني

إهداء

إهداء إليك .



بقلمك (ك) للنشر الإلكتروني

جلس على سجادة الصلاة بعد أداء صلاة العصر ودخل في شروءٍ وتأمل في هذه الأيام العظيمة؛ وكأنه يخاطب نفسه ويقول: خص الله - سبحانه وتعالى- هذا الشهر بمزايا عديدة، وجعل الأجور فيه مضاعفة، وقذف حبه في قلوب العباد؛ فالمسلمون في كل بقاع الأرض يبتهجون لقدوم هذا الشهر العظيم؛ هو "شهر القرآن"، ففيه أنزل على رسولنا الكريم محمد ﷺ وكان يتدارسه مع جبريل - عليه السلام- في ليالي رمضان المباركة، ويطلق عليه أيضًا "شهر القيام"؛ لأن هذه العبادة تكثر فيه ويحافظ كثير من المسلمين على قيام كل ليلة؛ وذلك رجاء كسب الأجر العظيم، ويتسابقون على الإكثار من الطاعات والإقبال على الله - عز وجل- بقلوب مخرجة ليكرمهم الله - سبحانه وتعالى- بالعشق من النيران وذلك في كل ليلة من لياليه. كما علمت أن الصيام ثالث أركان الإسلام الخمسة التي لا يستقيم إسلام مسلم إلا بها، ويعني هذا الصوم الإمساك عن جميع المفطرات، وأيضًا أنه أقدس الأشهر عند المسلمين جميعًا؛ حيث نزل فيه القرآن الكريم، وفيه أيضًا

ليلة القدر التي تعد خير من ألف شهر عند الله - سبحانه
وتعالى-، وفيه صلاة التراويح والاعتكاف، وفيه كما
سمعت من المشايخ أن منذ اليوم الأول تفتح أبواب الجنة،
وتغلق أبواب النار، وتصفد الشياطين، فاللهم اجعلنا ممن
صام رمضان وفاز برضا الرحمن، اللهم آمين. وفجأة
انتبهت ونظرت إلى التقويم الورقي المعلق أمامي فوجدت
اليوم العاشر من رمضان، ويبدو الجو معتدلاً والساعة
الرابعة تقريباً بعد العصر، سأخرج ألعب في حديقة
المنزل لقضاء بعض الوقت حتى أذان المغرب. وصلت
الحديقة فلفت انتباهي استراحة جدي المنعزلة قليلاً عن
المنزل الكبير الذي نعيش فيه، وقع نظري على بشاعة
منظر جدرانها؛ لِمَا حدث من تقلبات جوية في شتاء هذا
العام، تراودني فكرة أريد القيام بتنفيذها وأخشى من
عواقبها ولكني سأنفذها، ذهبت مسرعاً إلى المخزن
وجئت بغالون من الدهان ورميته على الجدران، ثم
أحضرت فرشاة ودهنت أشكالاً متنوعة على الجدران،
وعندما كدت أنتهي من هذا العمل كنت أعلم بخروج جدي

من المنزل للقدوم إلى الاستراحة في ذلك الوقت لقراءة ورد القرآن في الساعة التي تسبق أذان المغرب، وبالفعل خرج جدي من المنزل متجهًا إلى غرفته المفضلة التي تعد مكتبه ومكتبته واستراحته، وعندما رأني وراء ما فعلت بدا وكأنه في نشوة وقال: إنه لعمل رائع، سلمت يداك يا حفيدي. أعتقد أنه في بعض الأوقات لا يتوقف الكبار ليروا الأشكال في عيون الصغار، كان بإمكانه أن يحطمني إذا قال غير ما قال، ولكن عوضًا عن ذلك أبهج روحي أنا الطفل الصغير، وفي هذا الموقف حضرتني حكمة من حكم جدي كنت أراها في مجلد لديه يضعه أمامه دائمًا على مكتبه، هذه الحكمة تقول: "لا تكسر قلب طفل؛ لأنه سيكبر ولن ينسى لك ذلك." وبعد ابتسامة جدي لي، قال لي: اذهب واغسل يديك وأنا في انتظارك هنا. وبالفعل قمت بتنظيف المكان من بقية الخامات والعدد التي كانت بحوذتي، وغسلت يدي، وقمت باستبدال ملابسني، وذهبت لجدي مرة أخرى في استراحته، استقبلني بابتسامة وهو يرتدي نظارته ويمسك بالمصحف

ويجلس خلف مكتبه، وقال: اجلس على الأريكة الجلدة خلفك؛ ستكون مريحة أكثر من الكراسي الخشبية. وبالفعل جلست على الأريكة الجلدة وخلفي مكتبة عظيمة بها أكثر من 1200 كتاب! يقول جدي: لقد جمعت هذه الكتب على مدار أكثر من أربعين عامًا. وجدتي تخطي الستين عامًا، وكان يعمل دكتورًا أكاديميًا بإحدى أكاديميات إدارة الأعمال وقد خرج لسن التقاعد منذ فترة بسيطة، وأصبح يقضي معظم الوقت في استراحته، ولكنه يتمتع في شهر رمضان بطقوس مختلفة بعض الشيء عن باقي أشهر العام. جلست صامتًا وجدتي يكمل ورده اليومي من القرآن، وقُبيل أذان المغرب ما يقرب من ربع ساعة انتهى جدي ووضع المصحف أمامه على المكتب، وقال: أحسنت العمل يا حفيدي العزيز، هيا بنا للدخول إلى البيت للإفطار. ولكنني في ذلك الوقت جاء ببالي سؤال وطرحته على جدي، وقلت له: جدي، ما معنى الحياة؟ اندهش جدي من سؤالتي، وبابتسامة خفيفة قال: هل لي أن أجابك بعد

صلاة التراويح؟ إن شاء الله نلتقي هنا ونجلس ونناقش هذا السؤال، ما رأيك؟ قلت: بالطبع يا جدي موافق.

بعد أداء صلاة التراويح جلس الجد ومعه حفيده "معاذ" كعادتهما في الاستراحة بعدما جلبا بعض الفاكهة والمسليات لتناولها أثناء الحديث، وقال الجد: يا معاذ، سألتني سؤالاً تعجبت من تفكيرك به ولكنه أفرحني؛ لأنك في هذا العمر تبحث عن قيمة نفسك هذا جيد للغاية، ولكن يا معاذ اعلم أنني عانيت الكثير والكثير لمحاولة الوصول لِمَا نحن فيه من أسرة مترابطة وسوية ومستورة وميسرة؛ لأن كل هذا يتطلب توفيقاً عظيماً من رب العالمين، ويتطلب يقيناً راسخاً بالإيمان بالله، ولكني أبسط لك ما تعلمته عن الحياة من الكتب ومن خبرتي في الحياة، وأبدأ لك بما قاله عالم النفس المشهور "فيكتور فرانكل"؛ فهو يقول: «معنى الحياة هو أن تعطي الحياة معنى». ويصف ويقول: "عندما كنت صبيًا صغيرًا أعطيت حياتي معنى ببساطة عن طريق اللعب والركض والقفز والسباحة

والضحك وركوب دراجتي، وعندما ذهبت إلى المدرسة أعطيت حياتي معنى عن طريق التعلم والدراسة بجد والحصول على درجات جيدة ومحاولة جعل أبي وأمي فخورين بي، وعندما كنت صبيًا مرافقًا وجدت المعنى في ممارسة الرياضة والتسكع مع أصدقائي في الجامعة، وجدت معنى حياتي في تقرير ماذا أريد أن أدرس؟ وما هو المستقبل المهني الذي أريد أن أحضر له؟ وعندما كنت أعمل أستاذًا وجدت المعنى في المساعدة في تنوير العقول الشابة بالأفكار الجديدة والحكم القديمة، وعندما تزوجت وأنجبت أطفالًا وجدت المعنى في حماية أولئك الذين أحببتهم وتأمين مستقبلهم والعناية بهم، وعندما اكتشفت أن كلا ولدي يعاني من إعاقة عقلية وجدت معنى الحياة في محبتي لهما ورعايتهما، وتعلم الكثير منهما عن الحياة والحب والعطف والصبر والإيمان، ومع تقدمي في العمر بدأت أدرك أن المعنى ليس شيئًا يأتي ويذهب؛ بإمكاننا أن نعطي معنى لكل لحظة في حياتنا هنا، بإمكاننا إعطاء المعنى للأفكار التي تجول في خاطرنا،

بإمكاننا إعطاء المعنى للأشياء التي نقوم بها، بإمكاننا إعطاء المعنى للقلوب التي نلمسها، كل ما علينا فعله هو الحب، إنه الحب هو ما يعطي الحياة معنى، إنه الحب هو الذي يجعل الحياة تستحق العيش، الحب هو هدية الله لنا، الحب هو هديتنا لبعضنا."

معاذ: كلامه جميل جدًا يا جدي، ولكن أخبرني يا جدي؛ هل متعة الحياة بالنسبة لنا في المجتمعات العربية هي نفس المتعة في المجتمعات الغربية؟

الجد بتأمل: يا حفيدي، خير ما أنصحك به وأقومك عليه هو فعل كل الأشياء بحب، أنت الآن تبلغ من العمر تسع سنوات وأعلم أنك بجانب دراستك تذهب إلى دار تحفيظ القرآن الكريم، وتمارس رياضة السباحة، هل فعلاً تحب حفظ القرآن؟ وأيضا تحب السباحة؟ أم تشتاق لرياضة أخرى غير السباحة؟ الاختلاف يا معاذ ليس في المجتمعات، الاختلاف في الثقافات والأصول؛ نحن

مسلمون ولدينا عبادات لا بد منها، وبجانب عبادتنا لدى كل منا مهمة للوصول لأهدافه.

معاذ: أنا أحب القرآن جدًا وتعلقت به كثيرًا، وهذا التعلق لم يأتي من فراغ؛ فإنني لم أحفظ القرآن فقط، فالدار التي أحفظ بها القرآن تعطينا دروس تدبر وتفسير لما نقوم بحفظه، وهذا يجعلني أعشق القرآن وأتمنى أن أكمل حفظه وفهمه على أحسن وجه، وأيضًا رياضة السباحة كانت صعبة للغاية في البداية ولكن الآن أصبحت عادية، وأصبحت أكثر قوة وأكثر رغبة في دخول البطولات وتحقيق ميداليات، فعلاً أشعر بمزيد من الفخر مع تحقيقي رقمًا جديدًا، أو إشادة مدرب، أو وصولًا لمركز متقدم، واللعب مع مستويات مختلفة يرفع من قدرتي، ويفجر طاقتي، ويدفعني للاستمرار والمنافسة، وبالفعل أهتم بمذاكرتي ودروسي، وبحكم أن أمي معلمة فهي لا تتركني أهمل في واجباتي ومذاكرتي، وأنا بالفعل متحمس لمواصلة التعليم للوصول إلى ما أتمنى، أنا الآن لم أحدد

طموحي ولكنني أرى المهندس والطبيب والضابط ورجل الأعمال، ولكنني لم أحدد هدفًا حتى الآن، وقال لي والدي "لا تتعجل بقدر ما تهتم بتنمية شخصيتك دراسيًا، وصحياً وعائلياً وأيضاً اجتماعياً بمعرفة أصدقاء تحبهم ويحبونك، يشاركونك وتشاركهم".

الجد ويظهر عليه ملامح الإعجاب بشخصية الحفيد: بالطبع يا معاذ كل حديثك رائع، ولكن يحتاج للاستمرار والمثابرة؛ فبدونهما لن تصل إلى ما تريد، ولكن لفت انتباهي في حديثك أنك تحب حفظ القرآن الكريم، وأيضاً تحضر حلقات تفسير وتدبر ما شاء الله!

معاذ: نعم يا جدي، وأعشق حلقات الحفظ، في البداية كان الموضوع ليس في اهتمامي؛ قلت سأذهب لرغبة أبي وأمي وأحفظ مثل أي شيء في يومي، ولكن يوم بعد الآخر أصبح حفظ كتاب الله والتدبر في آياته من أهم الأمور التي أحافظ عليها، أتعلم الكثير من القصص

والأحكام ومعاني الكلمات وأيضًا الوقفات التدبرية
للآيات، وهذا يجعلني أتمسك بالمداومة إن شاء الله.

ضحك الجد، وقال: كل هذا في شهرين فقط؟! أنت ذهبت
متأخرًا! كنت أود ذهابك في سن أصغر من هذا ولكن
نحمد الله، وأتمنى لك المداومة والمواصلة، ولكن أخبرني
بما لديك حتى الآن.

معاذ: يا جدي، لم أحفظ الكثير حتى الآن فقط سورة
الفاتحة وأول ستين آية من سورة البقرة، وأرجو ألا
تتعجب؛ لأن حلقات التدبر والتفكر والتلاوة جعلتنا نفكر
بشكل مختلف للغاية، بالفعل نتلو القرآن كثيرًا فيما بيننا؛
كل حلقة تحفيظ لنا ورد يومي من التلاوة مختلف عن
التحفيظ، ولكن في فكرة التحفيظ والتدبر نتوقف عند كل
آية لكي نتعلم ونتدبر فيما نحفظ، ولكن مثلما ذكرت لك
نتلو القرآن في كل حلقات الدار، وممكن أن نتلو جزءًا
كاملاً ولكن بصوت عذب، ومراجعة الألفاظ والتجويد.

الجد: شوقتي يا معاذ لأتعلم منك ما تدبرت حتى الآن!

معاذ بدهشة: أنت يا جدي؟! تتعلم مني أنا بعد طول عمرك
وهذه الأرفف التي تملؤها مئات الكتب؟!!

الجد: بالطبع يا معاذ قرأت القرآن كثيرًا بفضل الله،
وكثيرًا ما تدبرت في بعض آياته، وسمعت كثيرًا من
خطب الإمام محمد متولي الشعراوي وغيره من المشايخ
واستفدت كثيرًا، ولكن لم أهتم بشكل مباشر بهذا الجانب،
وأحمد الله أن الدار التي اختارتها لك أمك لتعليمك القرآن
الكريم يوجد بها هذا الأمر، هل عندك مانع أن تعلمني ما
تعلمت من التدبر والتفكر في آيات الله؟

معاذ: جميل يا جدي، هذا سيكون حافزًا قويًا لي للمناقشة
معك؛ فأبي دائمًا مشغول ولا أتحدث معه كثيرًا بسبب
مهام عمله في الشركة، وأمي لديها الكثير من عملها
وعمل البيت وغيره، حتى حدث منذ يومين خلافًا بسيطًا
وكبر وتحول إلى شجار كبير في البيت.

الجد: نعم، سمعت أصواتكم صاخبة ولكن فضلت عدم التدخل، حتى جدتك كانت تصر على القدوم لكم وأنا منعته حتى تهدأ الأمور.

معاذ: الحمد لله، حكمة أمي جعلتنا نمر بسلام؛ رجع أبي من العمل وكانت تبدو عليه ملامح التعب والإرهاق والعصبية، فقابلته وسلمت عليه وكنت أريد أن آخذ رأيه في بعض أموري كألواني وأدوات السباحة وغيرها، وفجأة أخذ يصرخ في وجهي بكلام لم أعهد عليه منه؛ فهو دائماً يشاركني في اختيار أدوات السباحة الخاصة بي وأيضاً يشاركني أشياء كثيرة، ولكن هذا اليوم اختلفت كل الطباع وصار يقول "أنا متعب من ضغط العمل، أنت تعلم أنا معي كم موظف ومسؤول؟ هل تدري ما بي من مشاكل؟" هنا لاحظت أمي تغير لون وجهي وخوفي من صوت أبي المرتفع، عند مشاهدة أمي الموقف حضنتني وفي عيوني الدمع، وقالت له: اهدأ قليلاً، الولد لا يهمله منصبك في الشركة، ولا عدد المسؤولين عنهم ولا غيره،

مع هذا أنت هنا في البيت ملك له ولأمه ولا يرى سوى ذلك، لم يرَ لا الموظفين ولا العمال، يرى فقط أنك الأب ولهذا تحدث معك ويريد مناقشتك كأب وليس كمدير أو صاحب عمل. ويبدو أن من حديثها هدأ أبي واعتذر لي وقبّل رأسي واعتذر لأمي ودخل غرفته، وفي اليوم التالي تحدثنا كثيرًا وتصالحنًا.

ابتسم الجد، وقال: نِعَمَ الزوجة الصالحة أمك.

معاذ: نكمل حديثنا عن القرآن يا جدي، يطراً سؤال دائماً في ذهني وبالتحديد في القرآن الكريم، من أول من حفظ القرآن وتدبره من الصحابة؟ هل هم كُتّاب الوحي أم نفر آخرون من الصحابة؟ أشتاق لمعرفة حملة القرآن الأوائل من الصحابة بسبب جمال القرآن وما عرفته من قصص وحكم ومواعظ، فما بالنا بمن جمع وحفظ وتدبر على يد النبي ﷺ! فنحن نأخذ المعلومات من الشيخ ونحبه كثيراً لطريقة إلقائه ولطفه معنا ومشاركته فيما بيننا.

الجد: يا معاذ، إنه سؤال جميل ولكنني لا تتوفر لدي الإجابة بشكل كامل، ولكن يوجد أحاديث نبوية بأسماء الصحابة وسأبحث عنها وأخبرك بما توصلت إليه إن شاء الله، وأنا أتعلم منك ما تتعلمه وما تعلمته من حفظ لكتاب الله وتدبر وفهم له، ومنتناقش ومنتشاور بمعرفتي ومعرفتك لكي نزداد بركة من القرآن بإذن الرحمن.

ابتسم معاذ ويبدو عليه الخجل، وقال: بالطبع يا جدي موافق على هذا الاتفاق، وأنا الآخر سأنتظر نتيجة بحثك عن الصحابة، وسأقوم بمراجعة كل جلسات القرآن وحلقاته.

وبسعادة بالغة بين الجد والحفيد ينتهي يوم رائع بينهما على أن يلتقيان غدًا بعد صلاة التراويح لاستكمال المناقشة فيما بينهما.

في اليوم التالي ذهب معاذ مع والدته إلى جولة خارجية لزيارة أحد الأقارب بعد أداء صلاة العشاء والتراويح، وبعد انتهاء الجولة دخلت الأم إلى المنزل وتوجه معاذ

مسرّعًا إلى استراحة الجد فوجده يقرأ القرآن، فبعد انتهاء
الجد من قرائته سأله عن سبب تأخره وأخبره معاذ بجولته
برفقة والدته، فسأل معاذ قائلاً: يا جدي، هل انتهيت من
قرائتك؟ فرد عليه الجد قائلاً: نعم يا بني. ووضع الجد
المصحف جانبًا، وقال: أتعلم يا معاذ؟ لقد سمعت أحد
البرامج التلفزيونية ليلة أمس، كان الضيف شيخ صومالي
يحكي قصة والده مع القرآن الكريم، سأحكي لك ما دار
في الحوار بين المذيع والشيخ الصومالي، الشيخ يدعى
"عبد الرشيد صوفي".

معاذ: تفضل يا جدي.

المذيع يقول للشيخ: توجد قصة سمعتها من حضرتك عن
الوالد.

الشيخ: رحمه الله.

المذيع: عندما مرض وذهب إلى مصر للعلاج.

الشيخ: نعم.

المذيع: لو تقصها علينا فضيلة الشيخ.

الشيخ: أخذناه إلى مصر للعلاج وكان في حالة إغماء،
ومن العجيب أنه في حالة إغماء لم يشعر بنا...

المذيع: غيبوبة.

الشيخ: وأقرأ القرآن عنده فيأتي عندي خطأ أو حتى
الرواية فيصحح لي!

المذيع: سبحان الله!

الشيخ: ولما استيقظ من غيبوبته بعد ما يقرب من سنة أو
أكثر، كان في غيبوبة وشفاه الله وعافاه، ولا نحسبها إلا
كرامة القرآن الكريم.

المذيع: الأطباء في مصر قالوا لكم لا فائدة؟

الشيخ: والله ضحك عليّ دكتور مصري، قال لي: "أنت
جايه هنا علشان تدفنه عند سيدنا الحسين ولا إيه؟"

المذيع: سبحان الله!

الشيخ: قال لي: "ده أنت جايه ميت، ده أسبوع ولا
أسبوعين وخلص، الحق به بالطائرة"، وأخذناه والأطباء

في الصومال أيضاً قالوا نفس الكلام، ويكون في غيبوبة
لمدة سنة ويشفيه الله من كل الأمراض التي كانت عنده
كأنها لم تكن به، ويعيش يمكن بعدها 7 أو 8 سنوات!

المذيع: سبحان الله!

الشيخ: المهم القصة هنا أنه بعد سنة أو أكثر من غيبوبته
لما رجع إلى حاله لا يغيب عنه حرف من كلام الله أو
حتى الروايات أو حتى القراءة، سبحان الله! فهذا إن دل
على شيء إنما يدل على أنه صاحب القرآن، والذي رحمة
الله عليه كان ورده اليومي مش في رمضان ورده اليومي
كان 10 أجزاء يختم في كل 3 أيام، وأنا لما رجعت إلى
الصومال في إجازة وأنا كنت في الأزهر، وسألني كم
تختم؟ فقلت 7 أيام فنهرني كنت أظن أنه سيفرح بي، قال:
7 أيام، إيش عندك أنت أولاد ولا زوجة؟ يعني الآية تمر
عليك مرة واحدة فقط كل أسبوع؟! لا تكثروني

يتابع الجد: بعد هذه القصة قمت بتكرار مقطع الفيديو أكثر
من مرة يا معاذ من كثرة جماله، وفي نفس الوقت وقعت

في حسرة على ما مضى من عمري، ولكن أحاول مجددًا
محاولة الاجتهاد في قراءة آيات القرآن وتدبرها؛ لكي
يصبنا بكرامات كتابه العظيم بإذنه سبحانه وتعالى.

معاذ: فعلاً يا جدي قصة مؤثرة وجميلة، هل لديك قصص
أخرى أو مقولات عن جمال القرآن يا جدي؟

ابتسم الجد وقال: ما أجمل هذا الحوار الممتع في
الموضوع الممتع مع الحفيد العزيز! لقد أكرمني الله خلال
ما مضى من عمري بأن أعرف بعض أقوال الصحابة
والتابعين والصالحين عن القرآن، سأحدثك عن بعض
منها، ولكن يا بني لا بد أن نعمل بما نعلم؛ لأن العلم بدون
معرفة يعد لا قيمة له ولا فائدة منه، بل وسنسال عليه يوم
القيامة؛ عن العلم الذي تعلمناه ولم نعمل به، والدليل على
ما أقوله لك هو حديث رسول الله ﷺ: ((والقرآن حجة لك

أو عليك)) صحيح مسلم 223 الإبتدائي
أي: يكون بتلاوته والعمل به حجة مع صاحبه يوم القيامة،
ويكون بتركه دون عمل أو تلاوة حجة وخسراناً على

صاحبه، ولكن لا بد من علو الهمة ببعض أقوال من السلف الصالح؛ لكي نستعين بجمال كلماتهم على الاجتهاد، وسأخبرك بما يشرح وجهك بالابتسامة ويسر قلبك، اسمع يا حفيدي قول أحد أبرز العلماء المسلمين فإنني جمعت كثيرًا من أقوالهم في مجلد صغير أحبه. فتح الجد المجلد وبدأ بالقراءة على حفيده، وهو يفتح المجلد قال: يا معاذ، من عجائب القرآن أنه ميسر للجميع لا يحتاج إلى عقلية خاصة، أو طقوس معينة، أو أماكن محددة، أو أزمنة بعينها للتعامل معه، فهو متاح في كل الظروف والأحوال، انصت لما أقول، قال ابن تيمية: "ليتني لم أنشغل إلا بالقرآن!".

وقال: "وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن".

ويقول سفيان بن عيينة محدث الحرم المكي: "والله لا تبلغون ذروة هذا الأمر حتى لا يكون شيئًا أحب إليكم من الله، فمن أحب القرآن فقد أحب الله، تفقهوا ما يقال لكم".

وقال ابن مسعود وهو صحابي وفقهه: "إذا أردتم العلم فانثروا القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين".

وقال أبو هريرة وهو أيضاً صحابي محدث وفقهه وحافظ: "إن البيت الذي يتلى فيه القرآن اتسع بأهله، وكثر خيره، وحضرته الملائكة، وخرجت منه الشياطين، وإن البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله - عز وجل - ضاق بأهله، وقل خيره، وخرجت منه الملائكة، وحضرته الشياطين".

قال الأعمش وهو تابعي من حفاظ الحديث النبوي: "ومما رفعني الله به القرآن".

قال الحسن البصري وهو إمام وقاضٍ ومحدث من علماء التابعين: "والله ما دون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة فقر".

هنا تبدو علامات الارتياح على معاذ من حديث الجد، ويقول:

أتعلم يا جدي؟ كل هذه المقولات عن عظمة القرآن
وهؤلاء الكرام لم يصلوا إلى جمال هذه الكلمات إلا بعدما
تذوقوا حلاوة القرآن.

ابتسم الجد، وقال: وأكثر يا بني، فكل ما أقول لك هو
مخزون سنوات وسنوات كنت أجمعه من الكتب، وأسمعه
في التلفاز أو في خطب الجمعة أو في خطب رمضان في
صلوات التراويح وغيرها، وبالفعل يا بني هؤلاء لم
يقولوا هذا إلا بعدما تذوقوا حلاوة القرآن في قلوبهم
وأفعالهم وسلوكهم.

تحمس معاذ لجمال حديث الجد، وقال: أتعلم المزيد؟
قال الجد: نعم. وفتح المجلد مجددًا، وقال: اسمع يا بني،
لقد قال أحد السلف: "كلما زدت حزبًا من القرآن، زادت
البركة في وقتي، ولا زلت أزيد حتى بلغ حزبي عشرة
أجزاء". بقلم (ك) للنشر الإلكتروني

وقال إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي موصيًا: "أكثر من قراءة القرآن ولا تتركه؛ فإنه ييسر لك الذي تطلبه على قدر ما تقرأ".

وقال الضياء: "فرأيت ذلك وجربته كثيرًا، فكنت إذا قرأت كثيرًا تيسر لي من سماع الحديث وكتابته الكثير، وإذا لم أقرأ لم ييسر لي".

وقال الحسن بن علي -رضي الله عنهما-: "إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدونها في النهار".

وقال عثمان بن عفان -رضي الله عنه-: "لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن".

وقال رجل لأبي بن كعب: «أوصني»؛ قال: "اتخذ كتاب الله إمامًا، وارضَ به قاضٍ وحكم؛ فإنه الذي استخلف فيكم رسولكم، شفيعًا، مطاعًا، وشاهدًا لا يتهم، فيه ذكركم، وذكر من قبلكم، وحكم ما بينكم، وخبركم، وخبر ما بعدكم".

وقال كعب الأحبار: "عليكم بالقرآن، فإنه فهم العقل، ونور الحكمة، وينابيع العلم، وأحدث الكتب عهدًا بالرحمن".

وقال ذو النون المصري: "ما الأنس بالله؟ قال: العلم والقرآن".

وقال الحسن البصري: "تفقدوا الحلاوة في ثلاث: في الصلاة، وفي القرآن، وفي الذكر، فإن وجدتموها فامضوا وأبشروا، فإن لم تجدوها فاعلموا أن بابتكم مغلق".

وقال قتادة: "اعلموا به قلوبكم واعملوا به بيوتكم؛ يعني القرآن".

وقال ابن مسعود: "إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره".

وقال عبد الله بن عمر: "عليكم بالقرآن فتعلموه وعلموه أبناءكم، فإنكم عنه تسألون وبه تجزون، وكفى به واعظًا لمن عقل".

تظهر علامات الاندهاش على معاذ من جمال الحديث عن القرآن، ويقول: يا جدي، أتعلم كل هذا وتريد التعلم مني؟!!

أنت تعلم كثيرًا من أقوال الصحابة والتابعين -رضوان الله عليهم-، وهذا الحديث حمسني أكثر أن أحفظ القرآن وأتعلمه إن شاء الله.

هنا يبتسم الجد، ويقول: بارك الله لك، وبارك عليك، وجعلك من حملة كتابه والعاملين به.

ويعود معاذ يسأل: يا جدي، هل وجدت شيئًا عن أول من حمل القرآن بعد نزوله على النبي -صلى الله عليه وسلم-؟ وكيف كان حالهم مع الله ليصطفاهم الله كأول من يحمل القرآن؟

الجد: في البداية، أريد إخبارك أن القرآن معجزاته موجودة ومحفوظة بحفظ الله لها، ويظل تأثيرها الفذ يعمل حتى قيام الساعة، فبعد نزول الوحي بالقرآن الكريم كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جامعًا القرآن في قلبه الشريف، وسيد الحفاظ في عصره المنيف، ومرجع المسلمين في كل ما يعنيه من أمر القرآن وعلومه، وكان -صلى الله عليه وسلم- يقرأه على الناس على مكثٍ كما

أمره مولاه، وكان يُحيي به الليل ويزين الصلاة، وكان جبريل يعارضه إياه في كل عام مرة وعارضه إياه في العام الأخير مرتين.

رد معاذ: اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد، اللهم لك الحمد على نعمة الإسلام وما أعظمها من نعمة!
الجد: حقًا يا بني، إنها لنعمة عظيمة!

معاذ: سأنتظرك يا جدي تبحث وتخبرني عن من أول من حمل القرآن من الصحابة، وما هي مواصفات هؤلاء عن دونهم لكي ينعم الله عليهم بهذا الفضل العظيم؟

الجد: بالفعل يا بني إنه لفضل عظيم وكرم كبير من الله - سبحانه وتعالى- على أول من حمل كتاب الله من رسول الله وتعلق قلوبهم به.

معاذ: وأنا أعدك يا جدي، سأجتهد في الحفظ حتى ينعم عليَّ الله بحمل القرآن.

ابتسامة مشرقة على وجه الجد الذي انشرح قلبه من حديث حفيده، وقال: حسنًا يا بني، سنكمل حديثنا بعدما

أقوم بالعمل على البحث وأنت تقوم على استكمال الحفظ،
ولكن في حال أعجبك البحث فما المكافأة؟

ضحك معاذ وقال: يا جدي، كنت أنتظر منك المكافأة على
الحفظ أجداك تطالبني أنت بمكافأة؟!!

ضحك الجد هو الآخر وقال: نعم سأكافئك بالتأكيد، ولكن
من يعطيني مكافأتي؟

وهنا تظهر فطنة الطفل ودهاؤه بقول معاذ: يا جدي،
حفظي لكتاب الله أعظم مكافأة.

ابتسم الجد وقال: حقًا يا بني، ولك كل ما تتمنى بعد كل
جزء تحفظه وتتدبره، هيا بنا للخلود إلى النوم حتى نقدر
على القيام على السحور، وإن شاء الله غدًا تبدأ في تعليمي
ما تعلمت.

ابتسم معاذ: إن شاء الله يا جدي.

وهنا ذهب الجد ومعاذ إلى داخل المنزل، وتوجه معاذ إلى
غرفة نومه، وتوجه الجد إلى الحمام وقام بالوضوء،

وشرع في صلاة التهجد، وفضل عدم إشراك معاذ لصغر سنه، ولعدم قدرته التحملية في هذه السن المبكرة.

ومر اليوم شبيهاً لما قبله من أيام شهر رمضان المبارك، وتقرب الأيام من مغادرة العشر الأوائل من الشهر العظيم، اجتمع الجد والحفيد مجدداً في الاستراحة بعد صلاة العصر، وسأل الجد معاذ عما قام به خلال اليوم، وأخبره معاذ: انتهيت صباحاً من دراستي، ثم ذهبت إلى التمارين في الثانية ظهراً، والتمرين في رمضان عبارة عن نصف ساعة لياقة بدنية خفيفة، ومحاضرة نظرية عن بعض مهارات السباحة المتقدمة، وعدت إلى المنزل قبل صلاة العصر، وبعد الصلاة جئت إليك لنبدأ ما اتفقنا عليه. سأل الجد معاذ: لماذا لم تتوجه إلى دار تحفيظ القرآن اليوم؟ أجاب: اليوم راحة؛ لأن -إن شاء الله- الميعاد القادم غداً بعد صلاة العصر. فقال الجد: حسناً يا بني لنبدأ، هل تتذكر شيئاً مما قلناه في الجلسات السابقة؟ أجاب معاذ: بالطبع يا جدي، كثيراً مما قلته. فرد الجد:

جميل يا معاذ، لا بد من معرفة أن مع كل مظاهر التأثير القرآني السابق ذكرها، إلا أن أهم مظهر لقوة تأثير المعجزة القرآنية هو التحول العظيم الذي حدث لجيل الصحابة، والتغيير الجذري الذي حدث لهم بعد إسلامهم، هذا الجيل الذي يمثل نموذجًا لأمة العرب التي كانت قبل الإسلام في ذيل الأمم من حيث التقدم والحضارة وامتلاك أسباب القوة والمنعة، وكان أفرادها يغرقون في الظلام والتخلف والجاهلية، وكان حالهم أسوأ بكثير من حالنا الآن، وكيف لا؟! وقد كانوا يقومون بأفعال لو حدثت بيننا لقامت الدنيا ولم تقعد! وسأقص عليك قصة بسيطة تعرفك ما أريد من مقصود كلامي هذا:

"فقد لاحظ رسول الله ﷺ رجلاً يلزمه الغم فقال له: ما لك تكون محزونًا؟ فقال: يا رسول الله، إني قد أذنبت في الجاهلية ذنبًا فأخاف ألا يغفر لي وإن أسلمت، فقال -عليه الصلاة والسلام-: أخبرني عن ذنبك. فقال: يا رسول الله، إني كنت من الذين يقتلون بناتهم؛ فولدت لي بنت فشفعت

إلي امرأتي أن أتركها، فتركها حتى كبرت وأدركت
وصارت من أجمل النساء فخطبت، فدخلت عليّ الحمية
ولم يتحمل قلبي أن أزوجها أو أتركها في البيت بغير
زواج، فقلت للمرأة: "إني أريد أن أذهب إلى قبيلة كذا في
زيارة أقارب فابعثوا معي البنت"، فسرت بذلك وزينتها
بالثياب والحلي وأخذت عليّ الموائيق بالأخونها، فذهبت
بها إلى رأس بئر فنظرت في البئر، ففطنت الجارية بأني
أريد أن ألقها في البئر، فالتزمتني وجعلت تبكي وتقول:
يا أبي أي شيء تريد أن تفعل بي؟ فرحمتها، ثم نظرت
في البئر فدخلت عليّ الحمية، ثم التزمتني وجعلت تقول:
يا أبي لا تضيع أمانة أمي. فجعلت مرة أنظر إلى البئر
ومرة أنظر إليها وأرحمها، غلبني الشيطان فأخذتها
وألقيتها في البئر منكسرة وهي تنادي في البئر: يا أبي
قتلتني. فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت. فبكى
رسول الله ﷺ وقال: لو أمرت أن أعاقب أحدًا بما فعل في
الجاهلية لعاقبتك."

اعتدل معاذ في جلسته وقال: يا الله! قصة صعبة جدًا يا جدي، الحمد لله على نعمة الإسلام، لقد وفقني الله من حفظ فاتحة الكتاب، وقال لي المحفظ ستبدأ من سورة البقرة، حفظت ستين آية منها حتى الآن، وبعد جلسة التلاوة ندخل في جلسة التدبر لنفهم النص حتى يسهل الحفظ.

هز الجد رأسه وقال: ما شاء الله! هل لك أن تخبرني عن جلسات التدبر من سورة الفاتحة إلى ما وصلت له في سورة البقرة؟

رد معاذ بحماس: بالطبع يا جدي، ولكن جلسات التدبر أصعب بكثير يا جدي من جلسات الحفظ.

دُهِشَ الجد وقال: كيف ذلك!؟

قال معاذ: يا جدي، يحدثوننا عن الوقفات التدبرية مصحوبة ببعض القصص لكي يسهل الفهم علينا، ويوضحوا لنا معاني الكلمات وأسباب نزولها بالقصص الدالة على ذلك، وأيضًا يحدثوننا عن العمل بالآيات لذلك

لم نسرع في حفظ الآيات إلا بعد الانتهاء من تدبر كل آية.

أشرف وجه الجد من حديث حفيده، ثم تابع الطفل وقال: يا جدي، لقد حدثونا عن قصة نزول الوحي على سيدنا محمد ﷺ في أول جلسة حتى نعرف بداية نزول الوحي.

قال الجد: قصها عليّ.

بدأ معاذ وقال: عنوان القصة؛ "القرآن كتابي" وتحكي زواج النبي ﷺ بالسيدة خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها-، وقبل بلوغ النبي ﷺ سن الأربعين وقبل أن ينزل عليه الوحي أحب الخلاء والتعبد في غار حراء، وذات يوم وهو في الغار نزل عليه ملك من السماء وهو سيدنا "جبريل" -عليه السلام-، قال للنبي ﷺ: اقرأ، ضمه سيدنا "جبريل" -عليه السلام- ضمة قوية وقال له: اقرأ، فأجابه النبي ﷺ: ما أنا بقارئ، ضمه ضمة ثانية وقال له: اقرأ، والنبي يجيبه: ما أنا بقارئ، فضمه الثالثة وقال له أول آيات نزلت على سيدنا محمد من القرآن الكريم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1)
خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي
عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)﴾ سورة العلق

وقال أول ما نزل على الرسول ﷺ سورة العلق في ليلة
القدر في شهر رمضان، وبهذا يكون القرآن أنزل في
رمضان؛ لأن أوله نزل في ليلة القدر، وقال تعالى: ﴿إِنَّا
أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ سورة القدر، ورجع النبي ﷺ إلي
بيته خائفاً وهو يقول: زملوني... زملوني، فهدأت السيدة
خديجة من روعه وذهبت به إلى ورقة بن نوفل، فقال له:
لا تخف يا محمد، إنه الوحي الذي نزل على موسى من
قبل، وإنك لنبي هذه الأمة، وإن قومك سوف يحاربونك
ويخرجونك من مكة. وقد كانت السيدة خديجة نعم الزوجة
والسند له في دعوته، وأول من آمنت به من النساء.

ابتسم الجد وقال: أحسنت يا معاذ، أحسن الله إليك. وقال:
دعني يا معاذ أضيف لك معلومة قرأتها وهي:

لماذا أنزل الله القرآن؟

ويقول الكتاب فقد أنزل الله - عز وجل- القرآن؛ ليكون وسيلة يهتدي الناس من خلالها إلى طريقه، وإلى جنته حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (174) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (175)﴾ "النساء"

فمن يقرأ القرآن يتأكد لديه بالأدلة العقلية أن للكون إلهًا واحدًا، وأن هذا الإله هو الله - سبحانه وتعالى-، وأنه خلقنا وأسكننا الأرض ليختبرنا، وأن هناك حياة بعد الموت ثم حساب، فنعيمًا أو عذابًا.

قال معاذ: معلومة قيمة حقًا يا جدي، في دار التحفيظ يا جدي مكثنا في سورة الفاتحة أكثر من أسبوع وقفات تدبرية وتأمل وتفسير.

قال الجد: قص يا معاذ ما تعلمته، وأنا بعدك سأقص ما أعلمه عن فاتحة الكتاب.

قال معاذ وكله حماس: في اليوم الأول قام الشيخ بتلاوة سورة الفاتحة أكثر من خمس مرات ويقول انظروا إلى حركات فمي وأنا أقرأ حتى تتمكنوا من تقليدي وتكون قراءتكم صحيحة إن شاء الله، وبالفعل قمنا بعمل ما طلب، وبعد حوالي ساعة كان كل رواق التحفيظ قد قام بتلاوة السورة بالطريقة الصحيحة بعد أكثر من محاولة فلم أرَ أحد أتقنها من المرة الأولى، وبفضل الله كنت أحفظها ولكن في الدار أتقنت حفظها بالتجويد الصحيح، وانتقلنا بعد جلسة التلاوة إلى جلسة الوقفات التدبرية وهنا قام الشيخ وقال: نبدأ تدبر سورة الفاتحة على سبعة أيام. وهنا أصابتنا الدهشة والاستغراب وكل واحد منا ينظر للآخر ونقول سبعة أيام في سورة الفاتحة! وتابع الشيخ: إنكم صغار، ولا بد من الفهم بالتيسير ولا حاجة للعجلة حتى تتمكنوا من إقامة صلواتكم، وطاعة الوالدين، وممارسة نشاطكم اليومي ولا تشعرون أننا نعجزكم عن أمور معيشتكم، هنا رد الجد وقال: كلامه معقول، أسمعني ما تعلمت من تدبر سورة الفاتحة.

وهنا بدأ معاذ بقراءة سورة الفاتحة كما تعلم في دار التحفيظ، وفور الانتهاء من التلاوة دخل في الوقفات التدبرية، وفي أول يوم قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4)﴾

وشرح وقال: كأنه سبحانه يقول: يا عبادي، إن كنتم تحمدون وتعظمون للكمال الذاتي فإني أنا "الله"، وإن كان للإحسان والتربية والإنعام فإني أنا "رب العالمين"، وإن كان للرجاء والطمع في المستقبل فإني أنا "الرحمن الرحيم"، وإن كان للخوف فإني أنا "مالك يوم الدين". الألويسي: ٦٨/١.

وكرر علينا حتى نقول مرة تلو الأخرى حتى نتدبر ما يقول ونستوعب حديثه، وحثنا على العمل بالآيات وقال: ادع الله، وابدأ الدعاء بالحمد والثناء عليه سبحانه كما ابتدأت سورة الفاتحة، ثم أسأله ما تريد كما ختمت السورة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

وقال: سورة الفاتحة أعظم سورة في القرآن وأكثر سورة
تقرأؤها، وحثنا أيضاً على تحديد مجموعة من أهل الخير
والصلاح ونكثر من مصابحتهم ومجالستهم ﴿صِرَاطَ
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ
الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ (6)﴾

لما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجلاً
المطالب ونيله أشرف المواهب علم الله عباده كيفية
سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه
وتمجيده، ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم فهاتان وسيلتان إلى
مطلوبهم، توسل إليه بأسمائه وصفاته، وتوسل إليه
بعبوديته، وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء.
ابن القيم: 163.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5)﴾

ذكر الاستعانة بعد العبادة مع دخولها فيها لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة بالله تعالى، فإن لم يعنه الله لم يحصل له ما يريد من فعل الأوامر واجتناب النواهي. السعدي: 39.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (5)

وقال: العبادة أعلى مراتب الخضوع، ولا يجوز شرعاً ولا عقلاً فعلها إلا لله تعالى؛ لأنه المستحق لذلك لكونه مولياً لأعظم النعم في الحياة والوجود وتوابعها. الأوسى: 86/1.

وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6)

وقال: في قوله "نعبد" بنون الاستتباع إشعار بأن الصلاة بنيت على الاجتماع. البقاعي: 17/1.

وقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (6)

وقال هنا الحاجة إلى الهدى أعظم من الحاجة إلى النصر والرزق، بل لا نسبة بينهما؛ لأنه إذا هُدي كان من

المتقين، ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب. ابن تيمية: 116/1.

وأيضًا كرر: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (6)

قال: على قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله تعالى لعباده في هذه الدار، يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذلك الصراط، فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالطرف، فالينظر العبد سيره على ذلك الصراط من سيره على هذا: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (90) النمل. ابن القيم: 35/1.

وفي نهاية اليوم السابع كررنا ما تعلمناه في الأيام السابقة، ثم أعطانا توجيهات لا بد من عملها، سأذكرها لك:

- السورة مقسمة بين الله وعبده، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مع ما قبلها لله، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مع ما بعدها للعبد، فتأمل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

- لن تعبد الله حق العبادة حتى يعينك الله على ذلك ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

- الحذر من اتباع منهج اليهود "تقديم الهوى على الشرع" ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ ومن اتباع منهج النصارى "العبادة بالبدعة والجهل" ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾

بعد انتهاء معاذ من حديثه ارتسمت ابتسامة مشرقة على وجه الجد الذي يظهر عليه الفخر بما يقوله ويتعلمه حفيده، نظر معاذ في وجه الجد وقال: ولديّ مجلد به أكثر وأكثر عن سورة الفاتحة سأحضره في اللقاء القادم إن شاء الله، ولكن هل لديك إضافات يا جدي على ما قلته لك؟

نظر الجد والابتسامة ما زالت تملأ وجهه وقال: بارك الله فيك يا بني، نعم لديّ إضافات بسيطة لعلها تزيدك فهماً كما زدنتي علماً.

قال الجد: قرأت عن الفاتحة أنها مقدمة أو استهلال للقرآن، وهي أيضاً ركن من أركان صلاتك لا تصح

صلاة من دونها؛ وهذا يعني أن كل مسلم يقول الفاتحة
17 مرة في اليوم كحد أدنى، وعلمتني السورة:

أعلى أنواع الشكر وهو الحمد والثناء، وهذا لا يكون إلا
لله قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

لا تياس من روح الله تعالى فمن صفاته الرحمة
قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾

لا تشرك بالله تعالى فهو المالك ليوم الدين يوم القيامة
قال تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

لا تصرف شيئاً من العبادة والتوكل إلا لله
قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

طلب الهداية والثبات على دين الله

قال تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

البراءة من اليهود والنصارى الذين عدلوا عن الصراط
المستقيم

قال تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

ويقال أيضاً في فقه الحمد كثيراً

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ (الفاتحة: ١) هي فاتحة الفاتحة

حيث لا مثيل لكلمات الله في دهشة المعاني وتفتق المفاهيم في الثنايا.

وفاتحة الكتاب سماها النبي عليه الصلاة والسلام فيما ثبت في الصحيح أنها "القرآن العظيم" و"السبع المثاني" فقال -عليه الصلاة والسلام-: فاتحة الكتاب هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته. وفاتحة الكتاب افتتح بها القرآن وتسمى "أم القرآن" و"أم الكتاب"؛ وذلك لأن هذا الكتاب يفتتح بها، ولأن الصلاة تفتتح بها كما ذكر في التعليل. "البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه."

هنا خرج معاذ عن صمته وقال: كل حديثك يا جدي رائع، وجعلني أتذكر معلومات كثيرة عن سورة الفاتحة بالفعل

كنت أتذكرها في السابق، ولدي مجلد أدون فيه كل هذا ومع حديثك بالتفصيل استرجعت معلومات كثيرة لم أكن أتذكرها، والآن أحاول استرجاعها لحين أحضر المجلد في قادم الجلسات بينما حتى ترى ما فيه من تفسير وتأمل وتدبر في آيات الله وبالتحديد في سورة الفاتحة.

هنا ابتسم الجد وقال: حسناً يا معاذ، قص عليّ ما تذكرته، وأنتظر في الجلسات القادمة المجلد.

استكمل معاذ وقال: سأحدثك عن عظم شأن سورة الفاتحة؛ حدثنا شيخنا أن هذه السورة العظيمة ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: قال تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل؛ يعني بالصلاة فاتحة الكتاب، فهي بين العبد وبين ربه في صلاته وهذا ينبئ عن عظيم شأنها في الصلاة.

قال النبي ﷺ: قال الله: فإذا قال عبدي ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال العبد ﴿الرحمن الرحيم﴾ قال الله -جل وعلا-: أثنى علي عبدي، وإذا قال

العبد في صلاته ﴿مالك يوم الدين﴾ قال الله -جل وعلا-:
مجدني عبدي، فإذا قال العبد ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾
قال الله: هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل، فإذا قال
العبد ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ (6) صراط الذين أنعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين (7)﴾ قال الله -
جل وعلا-: هذا لعبدي ولعبي ما سأل.

لا يستوي من يتلو هذه الآيات من سورة الفاتحة وهو يعقل
معانيها ويفهم دلالتها مع من يرددها بلسانه وقلبه مشغول
عنها أو جاهل بها، وما أعظم أن تكون الصلاة مناديةً لله
-جل وعلا- بهذه السورة العظيمة! هذه السورة هي فاتحة
الكتاب، وهي السبع المثاني كما ذكرها النبي -صلى الله
عليه وسلم- في هذا الحديث وبها فسر قوله تعالى: ﴿ولقد
آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم﴾ (87) الحجر.

السبع المثاني فسرت بأنها الفاتحة كما فسرها النبي ﷺ،
وكذلك فسر القرآن العظيم والسبع المثاني معًا بأنها فاتحة
الكتاب كما مر معنا في حديث أبي سعيد بن المعلى -

رضي الله عنه- الذي رواه البخاري وغيره، وكذلك لأن معاني القرآن جميعًا ترجع إلى ما ذكر في هذه السورة العظيمة؛ فهي أم القرآن باعتبار أن معاني القرآن ترجع إلى المعاني التي في هذه السورة وهذا يظهر لك واضحًا جليًا عند الشروع بفهمها أو بعد الانتهاء من تفسيرها، وقرأت في عظمة الحمد وعلمت فقه الحمد.

اندهش الجد وقال: ما شاء الله تبارك الله! حفظك الله يا معاذ، حديثك ممتع للغاية ومفيد لحد كبير. وهنا نظر الجد في ساعته ووجدها تخطت الخامسة والنصف فقال: لا بد الآن من أن نرجع إلى المنزل؛ للمساعدة في تجهيز الإفطار ونعود بعد التراويح إن شاء الله، تكمل ما تذكرته وأنا أخبرك بما توصلت إليه.

انشرح وجه معاذ بكلمات الجد التي ثبتت معلوماته بل وأفادته أكثر مما كان يتخيل وقال: لقد تعلمت منك يا جدي أكثر مما تعلمت مني، لقد تفوقت علي يا جدي.

ضحك الجد وقال: يا معاذ، أنت المتفوق؛ فأنا في سنك لم أكن أعلم هذه الكلمات، ووصيتي لك أن تعمل بها وتبلغها بالمعروف، هيا بنا للداخل الآن.

وبعد الإفطار، وصلاة العشاء والتراويح، ورجوع معاذ معه الجد والوالد من طريق المسجد للبيت وجد الأب أن الجد يمسك بيد معاذ ويتوجها إلى الاستراحة، فقال الوالد: ما لكم ليلاً ونهاراً هنا؟ فرد الجد: إذا كنت تريد مرافقتنا أهلاً بك. قال الوالد: أخبراني ما تتحاورا فيه إذا كان مفيداً لي سأرافقكم. رد الجد: بالتأكيد ستستفيد. ضحك الوالد وقال: أثق في كلامك أبي العزيز، سأدخل المنزل لعمل قهوة ومشروبك الخاص وأحضر الفاكهة وأكون معكم. رد معاذ: في انتظارك يا أبي.

دخل الجد والحفيد في انتظار الأب، وبعد بضع دقائق وصل الأب الذي بدأ وقال: عذراً للتأخر ياسادة، الآن أنا جاهز لمعرفة ما تتناقشان فيه. فرد الجد: أي نقاشات؟ ومن الذي حدثك أننا نتناقش في موضوعات معينة بعينها؟

فضحك الأب وقال: يا أبي، أنا على علم بكل شيء لا أدعي، تخبرني أم معاذ بما بينكم من نقاشات، فمعاذ يحكي لأمه، وزوجتي تخبرني، وسعدت كثيرًا بما علمت به، وكنت بانتظار هذه اللحظة لمشارككم في هذه النقاشات في الشهر الكريم.

ابتسم الجد في وجه الحفيد وقال: من الواضح يا معاذ أننا نلاحق من الجميع، ولكن هذا جيد طالما أن الملاحظة تكون في النفع للجميع، نخبر والدك بما نتناقش به أم لا؟ ضحك معاذ وقال: الرأي رأيك يا جدي، افعل ما تراه مناسبًا. اندهش الأب وقال: فعلاً أعز الولد! لا أقدر عليكما طالما أعلنتما التعاون فيما بينكما. رد الجد: حسنًا، إنك تعلم أن ما بيننا كبير ولا أحد يقدر علينا، ولهذا سندخلك مجلسنا لنستفيد بثوابك، وإذا كنت تملك معلومة استفدنا منك، نحن نتحدث عن القرآن وحسن تدبره، وأيضًا نتحدث عن أوائل الصحابة الذين حملوا القرآن حفظًا وتلاوة وتدبرًا وتفسيرًا. هز الأب رأسه وقال: نفعنا الله

وإياكم بكل خير، إنها موضوعات قيمة للغاية! تنفعنا في الدنيا ونرجو من الله أن نرحم بها في الآخرة -اللهم آمين- . تابع الجد وقال: سنعطيك لمحة سريعة عما تحدثنا فيه في اليومين الماضيين. وبالفعل قام الجد بسرد سريع لما تكلمنا فيه في السابق.

وهنا أعجب الأب أكثر وانجذب لفكرة الحوار الدائر بين الجد والحفيد، وقال معاذ: الآن سأذهب للمنزل؛ لآتي بالمجلد الخاص بي.

قال الأب: أنا أيضاً سأستحضر معلومات مهمة عن سورة الفاتحة وما تحوي من معجزات ربانية، وعلى قدر الاستطاعة أحاول العمل بها.

قال الجد: عظيم، ولكن دعنا نسمع بعض ما عند معاذ، ثم أحكي له قصة أول صحابي وبعدها ممكن نسمع ما عندك.

لوح الأب رأسه بالموافقة، وبعد قدوم معاذ قال: يا جدي، هل تبدأ بقصة أول الصحابة قبلي؟

ابتسم الجد وقال: وهو كذلك يا معاذ، قصة الأربعة الذين
ذكروا في الحديث ويوجد كثير من الصحابة غيرهم من
حفظة القرآن الكريم، ولكن دعنا نبدأ بهؤلاء، ولكن قبل
أن أروي لك في مقدمة عن هذه الكوكبة المباركة، ثلة
كبيرة من صحابة رسول الله ﷺ نقلوه للتابعين ومن تبعهم
إلى يوم الدين نقلًا متواترًا، وكانت سلسلة حملة القرآن
الكريم بالتواتر تاج الأمة وفخرها!

وما ذلك إلا أنه كان ﷺ جامعًا القرآن في قلبه الشريف،
وسيد الحفاظ في عصره المنيف، ومرجع المسلمين في
كل ما يعينهم من أمر القرآن وعلومه، وكان ﷺ يقرأه على
الناس على مكثٍ كما أمره مولاه، وكان يحيي به الليل
ويزين الصلاة، وكان سيدنا جبريل يعارضه إياه في كل
عام مرة، وعارضه إياه في العام الأخير مرتين.

قالت السيدتان عائشة وفاطمة -رضي الله عنهما-: سمعنا
رسول الله ﷺ يقول: إن جبريل كان يعارضني القرآن في

كل سنة مرة وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا
حضر أجلي.

وأما الصحابة -رضوان الله عليهم- فقد كان كتاب الله في
المحل الأول من عنايتهم؛ يتنافسون في استظهاره
وحفظه، ويتسابقون إلى مدارسته وتفهمه، ويتفاضلون
فيما بينهم على مقدار ما يحفظون منه، وربما كانت قرّة
عين السيدة منهم أن يكون مهرها في زواجها سورة من
القرآن يعلمها إياها زوجها.

وكانوا يهجرون لذة النوم وراحة البدن؛ إيثارًا للذة القيام
به في الليل، والتلاوة له في الأسحار، والصلاة به والناس
نيام حتى لقد كان الذي يمر ببيوت الصحابة في غسق
الدجى يسمع فيها دويًا كدوي النحل بالقرآن.

وكان الرسول ﷺ يذكي فيهم روح هذه العناية بالتنزيل؛
يبلغهم ما أنزل إليه من ربه، ويبعث إلى من كان بعيد
الدار منهم من يعلمهم كما بعث مصعب بن عمير وابن أم
مكتوم إلى أهل المدينة قبل هجرته يعلمانهم الإسلام

والقرآن، وكما أرسل معاذ بن جبل إلى مكة بعد هجرته
للتحفيظ والإقراء.

قال عبادة بن الصامت -رضي الله عنه-: كان الرجل إذا
هاجر دفعه النبي ﷺ إلى رجل منا يعلمه القرآن، وكان
يُسمع لمسجد رسول الله ﷺ ضجة بتلاوة القرآن حتى
أمرهم رسول الله أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا.

ثم إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور
لا على حفظ المصاحف والكتب وهذه أشرف خصيصة
من الله تعالى لهذه الأمة؛ ففي الحديث الصحيح الذي رواه
مسلم أن النبي ﷺ قال: إن ربي قال لي: قم في قريش
فأنذرهم. فقلت له: رب، إذا يثغلوا رأسي حتى يدعوه
خبزة. فقال: مبتليك ومبتلي بك، ومنزل عليك كتابًا لا
يغسله الماء، تقرأه نائمًا ويقظان، فابعث جنودًا أبعث مثلهم،
وقاتل بمن أطاعك من عساك، وأنفق ينفق عليك." رواه
مسلم.

فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة
تغسل بالماء بل يقرأونه في كل حال، كما جاء في صفة
أمتهم: «أناجيلهم في صدورهم!».

وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه في الكتب أو
يقرأونه كله إلا نظرًا لا عن ظهر قلب، ولما خص الله
تعالى بحفظه من شاء من أهله أقام له أئمة ثقات تجردوا
لتصحيحه، وبذلوا أنفسهم في إتقانه، وتلقوه من النبي ﷺ
حرفًا حرفًا لم يهملوا منه حركة أو سكونًا أو إثباتًا أو حذفًا
أو دخل عليهم في شيء منه شك أو وهم، وكان منهم من
حفظه كله، ومنهم من حفظ أكثره، ومنهم من حفظ بعضه،
كل ذلك في زمن النبي ﷺ، يا حفيدي العزيز فضلت
إعطائك نظرة سريعة قبل الشروع في سيرة الصحابة.

معاذ: بالفعل يا جدي مقدمة جميلة ومفيدة جدًا. والأب هو
الأخر بيتسم ويقول: حقًا حديث ممتع ومفيد للغاية.

قال الجد: الآن يمكننا التحدث عن سير الصحابة الأجلاء،
وكما ذكرت لك منذ قليل عن الحديث الشريف الذي

يوضح ثقة رسولنا الكريم ﷺ في أصحابه الحافظين لكتاب الله، ونص الحديث يقول: حدثنا عبد الله بن مسعود فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: «خذوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب» -رضي الله عنهم-.

وقد أخرجه البخاري في المناقب في غير موضع، ومسلم، والنسائي من حديث الأعمش، عن أبي وائل، عن مسروق به. فهؤلاء أربعة: اثنان من المهاجرين الأولين: عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة، وقد كان سالم هذا من سادات المسلمين، وكان يوم الناس قبل مَقْدِم النبي ﷺ المدينة. واثنان من الأنصار: معاذ بن جبل وأبي بن كعب وهما سيدان كبيران -رضي الله عنهم أجمعين-.

ويتابع الجد: وأبدأ لك يا عزيزي بقصة الصحابي الجليل سالم مولى أبي حذيفة؛ حتى تعلم أن ديننا دين عظيم، فقد قال رسولنا محمد ﷺ في سالم: "الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا"، وهو -رضي الله عنه- من السابقين

الأولين البدريين المقربين العالمين، ويذكر أنه كان غلامًا رقيقًا طيبًا مباركًا، وسالم في أصله من "إصطخر" بلد في فارس، وكان له "ثبية بنت يعار الأنصاري" وكانت ترى فيه من الخصال الطيبة ما حملها على أن تعتقه وتحرره، فخشي زوجها "أبو حذيفة بن عتبة" على هذا الغلام الصغير من التيه والضياع في دروب الحياة المتشابكة، فأخذه ومضى به إلى الحرم ووقف على ملاء من قريش، وقال لهم: اشهدوا أنني قد تبنيته سالمًا وقد أصبح مني بمنزلة ابني، فأصبح الناس ينادونه بسالم بن أبي حذيفة.

وبعد فترة يسيرة أذن الله للنور الإلهي أن ينبثق من بين أرجاء مكة؛ لينير الكون كله بأنوار الهدى والرحمة؛ لقد بعث الله محمدًا آية لخروج الناس من ظلمات الكفر والجهالة إلى أنوار التوحيد والإيمان، وكان أبو حذيفة وابنه سالم من السابقين الأولين الذين شرح الله صدورهم للإسلام، وبدأت أوامر المحبة بينهما تزداد يومًا بعد يوم

وذلك بعد أن جمع الإسلام بينهما وألقى الله المحبة الحقيقية بينهما، قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:63].

وبعد فترة يسيرة أبطل الإسلام عادة التبني وأمر الناس جميعًا أن يردوا الأبناء إلى آبائهم؛ وذلك من أجل الحفاظ على الأنساب، وفي ذلك أنزل - سبحانه وتعالى -: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:5].

أي انسبوا هؤلاء الذين جعلتموهم لكم أبناء لآبائهم الأصلاء، فاستجاب المسلمون لأمر الخالق - جل وعلا - ولكن أبا حذيفة أخذ يبحث طويلاً عن والد سالم فلم يجده، فأصبح الناس يطلقون على سالم "سالم مولى أبي حذيفة" وظل هذا الاسم معروفاً به إلى أن فارق الحياة.

وأخذ الاثنان يعبدان ربهما فى إخبات وخشوع وخشوع
راجين أن يجمعهما الله تعالى فى جنته إخوانًا على سرر
مقابلين.

وفى غمرة هذه المحبة أراد أبو حذيفة أن يزداد قربًا
وصلَّةً بسالم -رضي الله عنهما- فزوجه من ابنة أخيه
"فاطمة بنت الوليد بن عتبة" ذات الحسب والنسب، وظلت
السعادة حينًا من الدهر ترفرف فى سماء حياتهما حتى
اشتد إيذاء المشركين على أصحاب النبي ﷺ، مما جعل
النبي ﷺ يحثهم على الهجرة إلى الحبشة، فهاجر أبو حذيفة
إلى الحبشة فأرًا بدينه وعقيدته وإيمانه؛ لكي تغسل
شالات الحبشة جراحاته هو وإخوانه من أصحاب
الحبيب ﷺ، أما سالم فلم يهاجر وأثر البقاء مع النبي ﷺ؛
ليأخذ منه القرآن غضًا طريًا كما أنزل، وليتعلم العلم بين
يدي الحبيب ﷺ، وظل سالم -رضي الله عنه- على تلك
الحالة ملاصقًا للنبي ﷺ يتلقى منه القرآن حتى أصبح

واحدًا من كبار حَمَلَة القرآن، بل لقد بلغ منزلة عالية يعجز القلم عن وصفها.

فها هو -رضي الله عنه- يوم المهاجرين الأولين في مسجد قباء وفيهم أبو بكر وعمر، فعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: لما قدم المهاجرون الأولون العصابة موضع قباء -قبل مقدم رسول الله ﷺ- كان يؤمهم سالم مولى أبي حذيفة، وكان أكثرهم قرآنًا. أخرجه البخاري: 692

بل جعله النبي ﷺ واحدًا من الأربعة الذين حث النبي أصحابه على أن يأخذوا القرآن عنهم كما ذكرت لكم في الحديث الشريف، وإنه لحقًا وسام وضعه النبي ﷺ على صدر هذا الصحابي الجليل!

فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "أبطأت على عهد رسول الله ﷺ ليلة بعد العشاء ثم جئت فقال: أين كنت؟ قلت: كنت أستمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد، قالت: فقام وقمت معه حتى استمع له ثم التفت إليّ فقال: «هذا سالم مولى أبي حذيفة،

الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا»". رواه ابن ماجه

1338

بل لقد شهد له النبي ﷺ بالإيمان؛ فعن عمرو بن العاص، قال: كان فزع بالمدينة، فأتيت على سالم مولى أبي حذيفة وهو محتب بحمائل سيفه، فأخذت سيفي فاحتبيت بحمائله، فقال رسول الله ﷺ: يا أيها الناس ألا كان مفزعكم إلى الله وإلى رسوله؟ قال: ألا فعلتم كما فعل هذان الرجلان المؤمنان؟" رواه معاذ 203/4

وبعد غياب يلتقي "أبو حذيفة" بأخيه في الله "سالم" - رضي الله عنهما- على أرض الشرف والجهاد-في غزوة بدر- يقاتلان في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلا الله، فأثلج الله صدور المؤمنين بهذا النصر المؤزر على المشركين.

وظل أبو حذيفة وسالم -رضي الله عنهما- يجاهدان في سبيل الله -جل وعلا- مع النبي ﷺ في كل غزواته حتى توفي الحبيب ﷺ، واستخلف المسلمون أبا بكر -رضي الله

عنه- وخاض المسلمون حروب الردة التي كانت فى قمة
الشراسة والضراوة.

وفى معركة اليمامة التى كانت بين المسلمين وبين مسيلمة
الكذاب قام أبو حذيفة وسالم -رضى الله عنهما- بضربان
المثل فى الشجاعة والإقدام، والبحث عن الشهادة فى سبيل
الله أينما كانت.

وكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبى حذيفة، وراية
الأنصار مع ثابت بن قيس واصطدم المسلمون والكفار.

وقاتلت بنو حذيفة (حلفاء مسيلمة الكذاب) قتالاً لم يُعهد
مثله وجعلت الصحابة يتواصلون بينهم ويقولون: يا
أصحاب سورة البقرة، بطل السحر اليوم. وحفر ثابت بن
قيس لقدميه فى الأرض إلى أنصاف ساقيه وهو حامل
لواء الأنصار بعدما تحنط وتكفن. فلم يزل ثابتاً حتى قُتل
هناك وقال المهاجرون لسالم مولى أبى حذيفة: نخشى أن
نوتى من قبلك؟ فقال: بنس حامل القرآن أنا إذاً. وقال زيد
بن الخطاب: أيها الناس، عضوا على أضراسكم،

واضربوا في عدوكم، وامضوا قدما. وقال: والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله أو ألقى الله فأكلمه بحجتي؛ فقتل شهيدا -رضي الله عنه- وقال أبو حذيفة: يا أهل القرآن، زينوا القرآن بالأفعال، وحمل فيهم حتى أبعدهم وأصيب -رضي الله عنه-.

وأما سالم -رضي الله عنه- فقد أخذ اللواء بيمينه فقطعت، ثم تناولها بشماله فقطعت، ثم اعتنق اللواء وجعل يقرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ إلى أن قتل.

وقبل أن تخرج روحه الشريفة وهو في الرمق الأخير يبحث عن رفيق عمره الذي كان يتمنى من أعماق قلبه أن يجمعه الله به في جنته كما جمعه به في تلك الحياة على طاعته.

وإذا بالحق -جل جلاله- يجمع بينهما ويرزقهما الشهادة في الإمامة! بل إن سالمًا وجد هو ومولاه أبو حذيفة رأس

أحدهما عند رجلي الآخر صريعين ولسان حال كل واحد منهما: غدا نلتقي في الجنة إخوانا على سررٍ متقابلين.

وها هو الفاروق عمر -رضي الله عنه- يتمنى أمنية غالية توضح لنا مكانة سالم من قلب عمر -رضي الله عنهما-.

فعن عمر -رضي الله عنه- أنه قال لأصحابه: تمنّوا. فقال بعضهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهبًا أنفقهُ في سبيل الله وأتصدق، وقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة زبرجدًا وجواهرًا فأنفقهُ في سبيل الله وأتصدق، ثم قال عمر: تمنّوا، فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين! فقال عمر: أتمنى لو أنها مملوءة رجالًا، مثل: أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة، وحذيفة بن اليمان".

يبدو على معاذ الدهشة والإعجاب والانبهار بالشخصية: يا الله على هذا الجمال! ما أعظم هذه الشخصيات! وما أروع المواقف في حياتهم! هل لك يا جدي أن تخبرني عن باقي الصحابة؟

ابتسم الجد وقال: الآن نسمع رأي أبيك، ثم نأخذ منه بعض ما عنده -وذلك إن لم يسرقنا الوقت- أنت عليك الدور لتسمعنا ما بداخل المجلد عن سورة الفاتحة حتى أكمل البحث عن باقي الصحابة وأقص عليك قصصهم.

وهنا ترتسم على وجه الأب ابتسامة جميلة من مناقشة الجد مع الحفيد ويقول: بالفعل قصة الصحابي الجليل سالم من أحب القصص إلى قلبي؛ لعظم ما قام به وما تعرض له! فاللهم اجمعنا به في جناتك، والآن هل من الممكن إضافة بعض ما عندي من معلومات عن سورة الفاتحة حيث أكون استفدت منكم وساهمت في إفادتكم؟

معاذ والجد: بالتأكيد، أخبرنا عما تعلم ولم نذكره.

بدأ الأب وقال: جاء في قول "الحمد لله" وليس الشكر لله؛ إذ الشكر يكون على العطاء فقط، والحمد؛ لأن الله مُستحقُّ للحمد في السرِّاء وفي الضراء ولو لم ينالك منه شيئاً، وحاشا لله ألا ينالك منه فضلاً كبيراً!

الحمد لله على صفاته؛ تعني أنه المتفرد بكل ذرة، فهو من يبعثها، وهو من يجعلها فناءً، وبيده وحده مفاتيح التوفيق والخذلان.

فله الحمد على ألوهيته؛ الحمد لله على أن الأمر له، هل تعني لك أن بيده مقاليد الأمر كله؟! فله الحمد كله أن كانت مفاتيح الأمر بيده وحده؛ فأخذ بأيدينا فلا نطرق إلا بابه، وأكرم مقامنا إذ جعلنا نرنو إلى جنابه.

الجد والحفيد في انبساط تام لما يروي، وقد انجذبت حواسهم لأخذ العبرة والموعظة من تلك الكلمات، ويكمل الأب ويقول: وقد مضى عقبة بن نافع -رضي الله عنه- إلى تونس فاتحاً، فلما بلغها وأراد أن يقيم مدينة القيروان قال له رجاله: إنك أمرتنا بالبناء في غابة كلها شعاب وغياض لا ترام، ونحن نخاف من السباع والحيات وغير ذلك من دواب الأرض. وكان في عسكره خمسة عشر رجلاً من أصحاب رسول الله فجمعهم وقال: إنني داعٍ فأمّنوا. فحمد الله بمحامد كثيرة، ثم دعا الله -عز وجل-

طويلاً، والصّحابة والناس يؤمنون، ثم سأل الله بقدرته
وبصفاته العلى أن يكف عنهم كلّ سوء.

ثم قال عقبه مخاطباً سكان الوادي: أيتها الحيّات والسباع،
نحن أصحاب رسول الله ﷺ فارتحلوا عنا فإننا نازلون،
ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه.

فحدثت بعدها كرامة هائلة؛ حيث خرجت السباع من
الأحراش تحمل أشبالها، والذئب يحمل جروه، والحيّات
تحمل أولادها في مشهد لا يُرى مثله في التاريخ، فنادى
عقبه في الناس: كُفوا عنهم حتى يرتحلوا عنا.

فله الحمد حتى يرضى أنه مالك الملك، وبيده مقاليد
الأمر، وإليه يرجع الأمر كله.

وهنا قال الأب: هذا ما لديّ وأحببت مشاركته معكم.

الجد بيتسم ويقول: بالفعل مداخلتك مثمرة.

وهنا يقول معاذ بما أننا تحدثنا عن سورة الفاتحة مرة
أخرى هل لي أن أضيف إليكم شرحاً مفصلاً عن كل كلمة

في هذه السورة العظيمة؟

يبدو على الجد والأب الإعجاب والانبهار بحماس معاذ، ويفتح معاذ مجلده ويقول: هذه السورة "الفاتحة" مبتدئة بالبسملة وبما أمر الله -جل وعلا- به القارئ للقرآن أن يبدأ قراءته بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، فكان لزامًا عليه أن يفهم وأن يعلم معنى الاستعاذة بالله -جل وعلا- من الشيطان الرجيم قال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل:98].

وجاء في صيغة الاستعاذة يبتدئ التالي للقرآن في الصلاة وفي خارج الصلاة بقوله "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" وإن زاد صفة من صفات الله -تعالى- تنزيهاً وتعظيمًا له كأن يقول "أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم" فلا يُنسب إلى الجهل فهذا قد جاءت به السنة وكل وارد، وكما قال الشاطبي:

وجاء أيضًا في معنى الاستعاذة يقول التالي للقرآن "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" ومعنى أعوذ؛ أعتصم وألتجئ وأتحرز بالله معبودي الحق الذي لا أعبد سواه، ولا

أفوض أمري إلا إليه من شر الشيطان الرجيم الذي رُجِمَ
ورُمِيَ وأُبعِدَ وطُردَ من رحمة الله -جل و علا- من شياطين
الجن ومن شياطين الإنس، وأن يصيبوني بأذى في نفسي،
أو بأذى ونقص في ديني، أو أن يصرفوني عن الالتزام
بأمر ربي، أو أن يحملوني على الإقبال على ما لا يحب
إلهي ومولاي الذي أعبد، فقال تعالى: ﴿وقل رب أعوذ
بك من همزات الشياطين(97) وأعوذ بك رب أن
يحضرون(98)﴾ [المؤمنون].

وقوله -جل و علا-: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ [الفلق]:1.

وقوله -جل و علا-: ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ [الناس]:1.

كل هذا معناه ألتجئ وأعتصم وأتحرز من شر الشيطان
أن يصيبني بشيء على النحو الذي قلته.

الجد والأب في غاية السعادة مما يسمعا من معاذ، ويكمل
معاذ ويقول: وعلمت أيضًا أن الاستعاذة بغير الله شرك،
"أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"؛ فالمستعاذ به هو "الله"
-جل و علا- وحده، والاستعاذة عبادة من العبادات ولكنها

عبادة قلبية لا تنزل إلا بالله -جل وعلا-؛ هو الذي يحمي من الشر، هو الذي يفيض الخير ويمنع الشر، قال -جل وعلا-: ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير﴾ [الأنعام:17].

فالذي يمنع الشر عن العبد هو "الله" -جل وعلا-، والذي يفيض بالخير على العبد هو "الله" -جل وعلا-.

ويوجد معنى للشيطان في لغة العرب، حيث قال أهل العلم أن الشيطان مأخوذ من "الشطن" وهو البعد؛ لأن الشيطان يطلق في اللغة على البعيد عن الخير، فكل بعيد عن الخير يقال له شيطان أو البعيد عما عليه أجناسه.

ولهذا قيل لإبليس أنه شيطان، وإذا أطلق لفظ "الشيطان" فإنه يدخل فيه دخولاً أولياً "إبليس والشيطان" يشمل شيطان الإنس وشيطان الجن.

ومعنى "الرجيم" في لغة العرب؛ أي المرجوم، وأصل الرجم في لغة العرب هو الرمي إما بالأقوال وإما

بالأفعال، الرامي الذي يكون -أيضًا- رمي بالقتل مثلًا أو بالظن أو بالقول.

هنا قال الجد: ما شاء الله يا معاذ، كل هذا تحصل عليه في دار التحفيظ؟!!

رد معاذ: وأكثر يا جدي، ولكن يقولون لنا اكتبوا أهم النقاط التي أحدثكم عنها الآن، حتى الآن انتهينا من "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"، ويبقى معي تفسير وتدبر لكل كلمة في سورة الفاتحة.

هنا اندهش الأب من كم المعلومات الثمينة التي يتمتع بها معاذ من دار التحفيظ وقال: ما شاء الله يا بني! ولكن الوقت تأخر الآن ولديّ عمل في الصباح، يمكننا أن نكمل في الغد بمشيئة الله؛ لأن بالفعل هذا الحوار قيم وممتع للغاية، ويجب أن نكمّله؛ لأننا نتعلم جميعًا.

لوح الجد رأسه بالموافقة على رأي الأب وقال: هيا بنا، ونكمل في الغد إن شاء الله.

بعد يوم لطيف مختلط بالأجواء العائلية الجميلة، وبعد انتهاء الجد والحفيد من صلاة التراويح بالمسجد، وفي طريق العودة للمنزل سأل الجد: كيف كان يومك يا معاذ؟
أجاب معاذ: استيقظت من النوم، توجهت إلى المدرسة ومنها مباشرةً للتدريب، ثم عدت قرب الثالثة قبل العصر، قمت بصلاة العصر في المنزل وتوجهت إلى دار التحفيظ وعدت للمنزل قرب الخامسة قبل المغرب، كنت متعبًا للغاية دخلت للنوم وأمي قبل الإفطار أيقظتني للإفطار بعد يوم صيام مزدحم للغاية.

رد الجد: أسأل الله العظيم من فضله دوام التوفيق لك يا بني، هيا بنا نتوجه إلى الاستراحة لاستكمال ما بدأنا.

معاذ: هيا يا جدي، أخبرني هل ستعرفني عن سيرة الصحابي الثاني أم سأكمل ما كنت أقول عن فضل سورة الفاتحة وعظمتها؟

أجاب الجد: أنت تبدأ، ومن ثمّ أنا بعدك أقص عليك قصة الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-، ولكن أخبرني أين أبوك اليوم؟

قال معاذ: أبي حلّ ضيفاً اليوم على أحد أصدقائه.

دخل الجد والحفيد للغرفة المفضلة، وبدأ الجد بتحضير القهوة المفضلة، ومعاذ يفتح مجلده وينظر به؛ لكي يعلم من أين يبدأ، وبعدما تذكر نظر فوجد جده قد فرغ من تحضير القهوة وقال: يا جدي، لقد وصلنا في سورة الفاتحة عند قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

وهنا طرح الشيخ سؤالاً وقال: هل "بسم الله الرحمن الرحيم" آية؟

قال معاذ: بعد اندهاشنا من السؤال قال الشيخ: قال سبحانه في أول القرآن "بسم الله الرحمن الرحيم" وهذه آية ولأهل العلم فيها أقوال، لكن الصحيح أنها آية تتلى في أول كل سورة للفصل بين السور؛ فهي آية من القرآن وليست آية من كل سورة إلا أنها بعض آية في سورة النمل في قوله

تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
وليست آية من أول سورة براءة.

ومعنى "بسم الله الرحمن الرحيم"؛ افتتح القرآن بها، "بسم
الله الرحمن الرحيم" هذه من أعظم ما أنعم الله -جل وعلا-
على المؤمنين بعامة من اتباع الرسل بها؛ لأن فيها وبها
من تحصيل الخيرات ما الله -جل وعلا- به عليهم.

والمعنى العام لتفسير "بسم الله الرحمن الرحيم" أن التالي
يقول: أتلو القرآن مستعينًا بكل اسم من أسماء معبودي
الحق "الله" الذي تسمى بأنه الرحمن الرحيم، والذي كملت
له صفة الرحمة وعظمت له آثارها، فهو يتلو ويقرأ
مستعينًا بالله -جل وعلا-، وبكل اسم من أسماء الله -جل
وعلا-، متوسلاً إلى الله -جل وعلا- بكل اسم من أسمائه.

ومعنى "بسم الله": قال بعض أهل العلم "بسم الله" معناها
"الله"، ولكن هذا ليس بجيد، بل الصواب أنه يدخل في
ذلك جميع أسماء الله -جل وعلا-؛ لأنه أبهم الاسم،

فيصدق على قوله "بسم الله" كل أسماء الله -جل وعلا-
الحسنى.

ومعنى لفظ الجلالة "الله": هذه الكلمة هي أعظم أسماء الله
-جل وعلا-؛ ومعناها أنها علم على المعبود بحق، إذا
الآلهة التي عبدت مع الله -جل وعلا- لم تعبد بحق
والمعبود بحق هو "الله" -جل وعلا- وحده دون ما سواه.
معنى "الرحمن الرحيم": اسمان من أسماء الله -جل وعلا-
الحسنى، يتضمن صفة الرحمة لله -جل وعلا-، والرحمن
أعم وأشمل وأبلغ من الرحيم.

"الرحمن" صيغة مبالغة من الرحمة، وهي أعظم مبالغة،
أوسع شمولاً، وأبعد أثراً متعلقاً من "الرحيم"، ولهذا قال
بعضهم أن "الرحمن" هو رحمن الدنيا والآخرة، وأن
الرحيم هو رحيم الآخرة.

فوائد "بسم الله الرحمن الرحيم":

نلاحظ أننا عندما نردد الكلمة العظيمة "بسم الله الرحمن
الرحيم" فإنه يفتح لقلبك أنواعاً من العبوديات لله -عز

وجل- لم تكن تدركها من دون العلم بمعاني أسماء الله
الحسنى -جل وعلا-، وأسرار هذه التركيبية المجتمعة معًا.
طيب، "بسم الله الرحمن الرحيم" تجعل أبواب الرجاء في
الله متفتحة، وفيها تفويض الأمر لله؛ هو الذي يوفق، وهو
الذي يهدي، وهو الذي يبارك فيما يقرأ العبد وفيما يتلوه
وفيما يأكله وما يشربه، وفي كل مرة يفتح للقلب بابان؛
الباب الأول باب الخوف، والباب الثاني باب الرجاء في
الله -جل وعلا-، وحسن التوكل عليه، وتفويض الأمر إليه
-جل وعلا-.

وبعد سرد أكثر من رائع من معاذ، نظر الجد بعين الفخر
والسعادة وقال: ما شاء الله! لقد أبهرتني، وأدخلت السعادة
على قلبي بمعرفتك هذا العلم الجميل والكلمات العذبة
المريحة.

وقال معاذ: أشكرك جدًا يا جدي على هذا التشجيع العظيم،
سأكمل لك "الحمد لله رب العالمين".

أولاً معنى "الحمد لله رب العالمين": "الحمد لله رب العالمين" أول آية في سورة الفاتحة، فيها ثناء على الله وحمده، وكما مر حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم في الصحيح: أن العبد إذا قال "الحمد لله رب العالمين" قال الله -جل وعلا-: حمدني عبدي.

معنى "الحمد" هو الثناء عن محبة على المحمود، فإن كان الثناء عن غير محبة سمي مدحاً، والله -جل وعلا- ممدوحاً ومحموداً، وحده أعظم من مدحه -جل وعلا-؛ لأن المدح قد يكون عن غير محبة أما الحمد فهو ثناء بأوصاف الكمال على المحمود المحبوب ولهذا سيأتي أنواع الثناء؛ فالحمد لله رب العالمين معناها كل أجناس المحامد وكل أنواع الثناء مستحقة لله المعبود بحق الذي هو "رب العالمين"، المتصرف في العالمين في أجناس العوالم في البر والبحر، وفي الأرض والسماء ما علمنا وما لم نعلم، وما رأينا وما لم نره، وما سمعنا وما لم

نسمعه، فكله ثناء مستحق لله -جل وعلا- الذي له الربوبية الكاملة على خلقه أجمعين.

وهناك أنواع من المحامد لله -جل وعلا- وهي والله أعلم خمسة:

النوع الأول: أنه -جل وعلا- محمود على أنه واحد في ربوبيته، وأنه هو الرب الملك السيد المتصرف في هذا الملكوت بأجمعه، لا رب لهذا الملكوت بأجمعه غير الله.

قال -جل وعلا-: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا﴾ [الإسراء:111]، وقال جل وعلا: ﴿الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلاً﴾ [فاطر:1]، فهذا كله من حمد الله -جل وعلا- من معاني الربوبية.

النوع الثاني: أن الله -جل وعلا- محمود على أنه مستحق للألوهية وحده دون ما سواه؛ يعني أنه محمود موحد في ألوهيته -جل وعلا-، فالله -جل وعلا- هو الإله الحق المبين وما عداه من الآلهة فإنما عبادتهم بالبغي والظلم والعدوان؛ فهو الذي يستحق أن يعبد العباد، وأن يحبوه،

وأن يرجونه، وأن يخافوه، وأن يحسنوا الظن به، وأن يتوكلوا عليه، وأن يستعينوا به، وأن يستعيذوا به، وأن يستغيثوا به، وأن ينحروا له، وأن يصلوا له، كل ذلك له وحده -جل وعلا-.

النوع الثالث: أن الله -جل وعلا- محمود على أنه ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى؛ يعني أنه مثني عليه بأنه الذي له الأسماء الحسنى التي بلغت في الحسن نهايته، ومحمود مثني عليه بأنه الذي له الصفات العلى والصفات الكاملة؛ فله من الصفات أكملها، وله من كل صفة كاملة أكمل تلك الصفة، ليس له -جل وعلا- النقص والشر، ليس إليه بل هو -جل وعلا- الكامل في أسمائه وصفاته، وأسمائه وصفاته لها أثر في خلقه عظيمًا يسبح القلب فيها بأنواع من الثناء على الله -جل وعلا-. النوع الرابع: قال -جل وعلا-: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا﴾ [الكهف: 1]، هو محمود على كل أمر في القرآن؛ لأن أوامر الله -جل وعلا- فيها محبته؛ يعني يحبها

ويحب اجتناب نواهيه في أوامره ونواهيه محبوبة له -
جل و علا- امتثالاً في الأوامر واجتناباً للنواهي؛ فهو يثني
على الله بإنزال الكتاب لهداية الناس بهذه الأوامر التي بها
صلاح الناس في جميع ما شرع سواء في أحكام العبادات
أو في أحكام المعاملات، سواء فيما يخص الفرد أو ما
يخص الجماعة، وسواء في ذلك الأحكام العملية أو
الأحكام الخبرية؛ يعني في أمور العقائد، كل ذلك يثني
على الله -جل و علا-.

النوع الخامس والأخير: أن الله -جل و علا- محمود؛ يعني
مثني عليه بما أمر به أمراً كونياً، وما قضى به قضاءً
كونياً، وما قدره على عباده، وهذا يدخل في النعم؛ لأنها
مما جعل الله -جل و علا- منها أموراً وأوامر كونية، هذا
هو الذي يستحضر النعمة أو كثيراً من الناس حينما يقول
"الحمد لله" يستحضر معنى الثناء على الله بهذه النعمة،
وهذا فرد من أفراد كثيرة، نوع من أنواع عديدة في محامد
الله -جل و علا-.

وهنا نرى معنى كلمة "الله" معناها أنها مستحقة لله؛ وذلك أن اللام في قوله "الله" هي لام الاستحقاق، ومعنى الاستحقاق هنا الملك، فالله -جل وعلا- هو ملك المحامد، وكذلك هو مستحقها -جل وعلا- لا يستحقها على هذا الوجه إلا هو -جل وعلا-، وأما الخلق فقد يستحق نوعًا من أنواع المحامد، قد يستحق فرد من الأفراد نوعًا من هذه الأنواع، ولكنها على الوجه العظيم مستحقة لله -جل وعلا- وحده. اللام غالبًا إذا أتى قبلها عيان فتكون لام الملك، وإذا أتى قبلها معان فتكون لام الاستحقاق، مثل -مثلاً- تقول: الكتاب لفلان، هذه لام الملك؛ لأن ما قبلها عين، فإذا كان ما بعدها معنى صارت لام الاستحقاق، كما يقال "الفخر والكبرياء لله والحمد لله"؛ يعني المستحق قل الله.

وهنا نصل إلى معنى "الحمد لله رب العالمين"، نلاحظ هنا أنه فرق بين الربوبية والألوهية؛ فنعت المعبود بالحق بأنه "رب العالمين"، وفي هذا أعظم دليل على أن

الربوبية ليست هي الألوهية، فالربوبية لها معنى
والألوهية لها معنى وهذا بمقتضى اللغة.

خرج الجد عن صمته وقال: رائع يا معاذ! ما شاء الله يا
بني! لقد تعلمت منك وتدبرت كثيرًا في معاني لم أكن
أذوق حلاوتها عند القراءة بدون معرفة المعاني والفوائد،
نسأل الله أن يزيدك من العلم النافع والعمل به.

رد معاذ: الآن دورك يا جدي لتقص علي قصة الصحابي
عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-.

قال الجد: نعم يا معاذ، وأنا جاهز. تقدم الجد نحو المكتبة
وأمسك بالكتاب وقال لمعاذ: لقد أكرمني الله بالعثور على
ذلك الكتاب الذي يجمع قصص الصحابة الكرام، سنقوم
بمعرفة قصة حياة الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود
من خلاله وغيره من الصحابة الأجلاء، وهو كتاب
"أصحاب الرسول ﷺ".

فتح الجد الكتاب على قصة الصحابي عبد الله بن مسعود
-رضي الله عنه- وبدأ بالقراءة:

"عبد الله بن مسعود"

ساقه في الميزان يوم القيامة أثقل من جبل أحد، مَنْ أحب أن يقرأ القرآن غَضًّا كما أنزل فليقرأ قراءة عبد الله بن مسعود.

محمد رسول الله ﷺ

وها نحن على موعد مع رجل كان يرعى الغنم فجاء الإسلام فصنع منه قمة تضى سماء الإسلام، بل أصبح معجزة من معجزات الرسول -صلى الله عليه وسلم- يوم أن استطاع -بإذن الله- أن يصنع مع كل صحابي قرآنًا يمشي بين الناس، يراه الناس فيرون الإسلام من خلاله.

لقد نسخ النبي -صلى الله عليه وسلم- عشرات النسخ من المصحف بل مئات بل ألوفًا، ولكنه لم ينسخها بمداد من الحبر على صفحات الورق، ولكنه نسخها بمداد من النور على صفحات القلوب.

ذلك هو شأن الإيمان إذا عمقت جذوره وقوي، وقوي سلطانه على النفس إنه يمد صاحبه بيقين لا يهن، وهمة

لا تنتهي، وأمل لا ينقطع، ودافع لا يتوقف، وعزم لا يخور، وهو يملك الدنيا وكأنها لا تملكه، ويجمع المال ولكنه لا يستعبده،

وتحيط به النعم ولكنه لا يتبطر، وينزل به البلاء ولكنه لا يقهر، لا تزيده الشدائد إلا عزيمة إلى عزمته، وقوة إلى قوته، كالذهب الأصيل لا تزيده النار إلا نقاء وصفاء.

وأنا أسألكم بالله، من كان يصدق أن مجموعة قليلة العدد، ضئيلة العدد من جزيرة العرب لم يكن لهم فلسفة اليونان، ولا مدينة الرومان، ولا حكمة الهند، ولا صنعة الصين تملك الدنيا بزمامها، وترث ملك الأكاسرة، وتحطم إمبراطورية القياصرة، وتنتشر دينًا جديدًا، وحضارة جديدة في الآفاق، وفي أقل من ربع قرن من الزمان؟!!

إننا على موعد مع الرجل الذي كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يحب أن يسمع منه القرآن، إنه الرجل الذي شهد له النبي -صلى الله عليه وسلم- بأن ساقه في الميزان يوم القيامة أثقل من جبل أحد، إننا على موعد مع عبد الله بن

مسعود -رضي الله عنه- الإمام الحبر، فقيه الأمة، كان من الصادقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدرًا وهاجر الهجرتين، وكان يوم اليرموك على النفل، ومناقبه غزيرة، روى علمًا كثيرًا.

أسلم قبل دخول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دار الأرقم، ويقال كان سادسًا في الإسلام، وشهد المشاهد كلها، وكان صاحب سر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ووساده، وسواكه، ونعله، وظهوره في السفر، وكان يتشبه بالنبي -صلى الله عليه وسلم- في هديه، ودله، وسمته، وكان خفيف اللحم قصيرًا شديد الأدمة.

وكان من أجود الناس ثوبًا، ومن أطيب الناس ريحًا، وولي قضاء الكوفة، وبيت المال لعمر و صدرًا من خلافة عثمان، ثم صار إلى المدينة فمات بها سنة 32 ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وستين.

كيف كانت قصة إسلامه؟

تعالوا بنا لنبدأ قصته من أولها، لقد كان الدين الإسلامي قصة يحلو ذكرها، وتأنس النفوس وتطيب القلوب بتكرارها.

فقد كان ابن مسعود يرعى الغنم لسيد من سادات قريش ألا وهو عقبة بن أبي معيط، وكان ابن مسعود مخلصًا أمينًا وراعياً، على الرغم من أنه لم يسمع بعد عن الإسلام وما يدعو إليه من الأمانة والصدق والإخلاص.

ونترك الحديث لابن مسعود -رضي الله عنه- يقص علينا قصته مع النبي -صلى الله عليه وسلم-.

عن ابن أم عبد بن مسعود قال: كنت أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط، فمر بي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر فقال: يا غلام، هل من لبن؟ قلت: نعم، ولكنني مؤتمن. قال: فهل من شاة لم ينزل عليها الفحل؟ -أي لا تدر لبنًا- فأتيته بشاة فمسح ضرعها، فنزل لبن فحلب في إناء فشرب وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: اقلص -أي انضم- وأمسك عن إنزال اللبن. فقلص "زاد الإمام أحمد"

قال: ثم أتيت به بعد هذا، ثم اتفقا فقلت: يا رسول الله، علمني ما هذا القول. فمسح رأسي وقال: يرحمك الله إنك غليم معلم. وفي رواية قال ابن مسعود: فأتيت به بعد ذلك فقلت: علمني من هذا القول. قال: إنك غلام معلم. فأخذت من فمه 70 سورة لا ينازعني فيها أحد.

لقد انبهر عبد الله بن مسعود حين رأى عبد الله الصالح ورسوله الأمين -صلى الله عليه وسلم- يدعو ربه ويمسح ضرعاً لا عهد له باللبن بعد، فإذا هو يعطي من خير الله ورزقه لبناً خالصاً سائغاً للشاربين!

وما كان يدري يومها أنه إنما يشهد أهون المعجزات وأقلها شأنًا، وأنه عما قريب سيشهد من هذا الرسول الكريم معجزات تهز الدنيا وتملؤها هدى ونورًا، بل ما كان يدري يومها أنه وهو ذلك الغلام الفقير الضعيف الأجير الذي يرعى غنم عقبة بن أبي معيط سيكون أحد هذه المعجزات يوم يخلق الله الإسلام منه مؤمنًا يهز بإيمانه كبرياء قريش، ويقهر جبروت ساداتها؟

لم يمضي غير قليل حتى أسلم عبد الله بن مسعود، وجعل نفسه في خدمة النبي -صلى الله عليه وسلم- ويا لها من مكانة عظيمة تعانق كواكب الجوزاء! فبعد أن كان ابن مسعود يرعى الأغنام إذا به ينتقل إلى خدمة سيد الأنام -صلى الله عليه وسلم-!

مكانته عند الله عز وجل:

ولقد كان -رضي الله عنه- من بين هؤلاء الصحب الكرام الذين أنزل الله في شأنهم قرآنًا يوصي فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- بالألا يطردهم من مجلسه، بل يقربهم إليه فهم الذين يبذلون دماءهم وأموالهم وأنفسهم لنصرة هذا الدين.

عن سعد قال: كنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونحن ست، فقال المشركون: اطرد هؤلاء عنك. وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل ورجلان نسيت اسميهما، فوقع في نفس النبي -صلى الله عليه وسلم- ما شاء وحدث

به نفسه، فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ [الأنعام:52].

وعن حذيفة أنه قال: لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- أن عبد الله بن مسعود من أقربهم عند الله وسيلة يوم القيامة.

أول من جهر بالقرآن:

بل ها هو رجل العقيدة يتحرك بتلك العقيدة التي تعانق كوكب الجوزاء ليعلم الكون كله درسًا عظيمًا في العمل لهذا الدين والدعوة إلى الله في أشد المواقف.

عن يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه قال: كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمكة عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: اجتمع يومًا أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، أفمن رجل يسمعهموه؟

فقال عبد الله بن مسعود: أنا. قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إذا أرادوه. قال: دعوني، فإن الله سيمنعني. قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أنديتها حتى قام عند المقام ثم قرأ "بسم الله الرحمن الرحيم" رافعاً بها صوته "الرحمن علم القرآن" قال: ثم استقبلها يقرؤها. قال: فتأملوا. فجعلوا يقولون: ماذا قال ابن أم عبد؟ ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد. فقاموا إليه، فجعلوا يضربون في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه، فقالوا له: هذا الذي خشينا عليك. فقال: ما كان أعداء الله أهون عليّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غداً. قالوا: لا حسبك، قد أسمعتهم ما يكرهون.

نشأة في ظلال الوحي :

وظل ابن مسعود -رضي الله عنه- ملازمًا للحبيب -صلى الله عليه وسلم- لا يفارقه في ليله أو نهاره، في حله أو

ترحاله، فاقتبس الكثير من هدي النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وعلمه حتى أصبح من أقرب الناس سمًا وهديًا بالنبي -صلى الله عليه وسلم-.

فعن عبد الله بن يزيد قال: سألنا حذيفة عن رجل قريب السميت والهدي من النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى نأخذ عنه، فقال: ما أعرف أحدًا أقرب سمًا وهديًا ودلاً بالنبي -صلى الله عليه وسلم- من ابن أم عبد؛ يعني ابن مسعود. وبلغت مكانته -رضي الله عنه- عند النبي -صلى الله عليه وسلم- درجة عظيمة لا تخطر ببال! فقد أذن له النبي -صلى الله عليه وسلم- بالدخول عليه متى شاء، فقال له ذات مرة:

آذنك على أن يرفع الحجاب وأن تستمع سوادي حتى أنهاك.

السواد هو السر:

حتى أن بعض الصحابة -رضي الله عنهم- كانوا يظنون في بادئ الأمر أن ابن مسعود -رضي الله عنه- من آل بيت النبي -صلى الله عليه وسلم- من كثرة الدخول عليه. فعن الأسود بن يزيد قال: سمعت أبا موسى الأشعري -رضي الله عنه- يقول: قدمت أنا وأخي من اليمن، فمكثنا حينًا ما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجلًا من أهل بيت النبي -صلى الله عليه وسلم- لِمَا نرى من دخوله ودخول أمه على النبي -صلى الله عليه وسلم-.

جهاده في سبيل الله:

ولقد شهد ابن مسعود المشاهد كلها مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما تخلف أبدًا عن مشهد منها، بل لقد كان له في يوم بدر موقفًا عظيمًا عندما قتل أبا جهل، وذلك بعد أن أثبتته ابنا عفراء، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: من ينظر ما صنع أبو جهل؟ فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد، قال: أنت أبو جهل؟ قال:

فأخذ بلحيته، قال: وهل فوق رجل قتلتموه، أو رجل قتله
قومه؟

ولقد جمع الحافظ بن حجر بين الروايات فيمن قتل أبا
جهل من الأربعة المتقدمين؛ معاذ بن عمرو بن الجموح،
معاذ ومعوذ ابني عفراء، وابن مسعود، فقال: فيحتمل أن
يكون معاذ بن عفراء شد عليه مع معاذ بن عمرو كما في
الصحيح، وضربه بعد ذلك معوذ حتى أثبته، ثم حز رأسه
ابن مسعود فاجتمعت الأقوال كلها.

الله يرفع بهذا القرآن أقوامًا:

وكان من بين هؤلاء الذين رفع الله شأنهم وأعلى قدرهم
عبد الله بن مسعود الذي كان ملازمًا للحبيب -صلى الله
عليه وسلم- يأخذ منه القرآن غضًا طريًا حتى أصبح
واحدًا من أفضل الصحابة في قراءة القرآن وعلومه، مما
دعا النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يوصي الصحابة بأن
يتعلموا القرآن من عبد الله بن مسعود.

فعن مسروق قال: ذكر عبد الله عن عبد الله بن عمرو فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه بعدما سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول: استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود فبدأ به، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل.

ولم لا يكون ابن مسعود في تلك المكانة وهو الذي أخذ القرآن من فم النبي -صلى الله عليه وسلم- مباشرة، وتعلمه من نبعه الصافي؟! ولك أن تتخيل معي أيها الأخ الكريم أنك تسمع القرآن من فم من أنزل عليه القرآن؛ إنه سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-!

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت، ولا نزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن نزلت، ولو أعلم أحدًا هو أعلم بكتاب الله مني، تبلغه الإبل لركبت إليه.

وعن شقيق بن سلمة قال: خطبنا ابن مسعود فقال: والله لقد أخذت من فم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بضعة

وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم. قال شقيق: فجلست في الحلق أسمع ما يكون فما سمعت ردًا يقول غير ذلك.

كان القرآن يخرج من فمه غضًا طريًا كما أنزل:

عن عبد الله أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مرّ بين أبي بكر وعمر، وعبد الله قائمًا يصلي فافتتح سورة النساء يسجلها ويقراها قراءة مفصلة، فقال -صلى الله عليه وسلم-: من أحب أن يقرأ القرآن غضًا كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد. فأخذ عبد الله في الدعاء، فجعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: سَلْ تُعْطَ. فكان فيما سأل "اللهم إني أسالك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد -صلى الله عليه وسلم- في أعلى جنان الخلد". قال عمر: والله لأغدون إلى عبد الله ولأبشرنه بتأمين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على دعائه، فأتى عمر

"عبد الله" يبشره فوجد أبا بكر خارجًا قد سبقه، فقال: إنك لسباق بالخير.

الحبيب -صلى الله عليه وسلم- يبكي لسماع القرآن من ابن مسعود -رضي الله عنه-:

ولقد أحب النبي -صلى الله عليه وسلم- عبد الله بن مسعود حبًّا شديدًا كان يزداد يومًا بعد يوم، وكان يقربه إليه؛ لِمَا يرى فيه من أمارات الذكاء والنجابة والأخلاق الرفيعة وحسن الاتباع.

وفي مرة اشتاق الحبيب -صلى الله عليه وسلم- أن يسمع القرآن من فم ابن مسعود -رضي الله عنه-، ويا لها من منقبة عظيمة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها!

عن عبد الله قال: قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:
: اقرأ عليّ القرآن. قلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: إني أشتهي أن أسمعه من غيري. فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد

وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴿ [النساء:41]، فغمزني
برجله فإذا عيناه تذرفان.

وتتعاقب الأيام والليالي ويأتي موقف عظيم يبين للناس
مكانة عبد الله بن مسعود عند الله وعند رسول الله -صلى
الله عليه وسلم-.

فعن ابن مسعود أنه كان يجتني سواكاً من الأراك، وكان
دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه،
فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: مِمَّ تضحكون؟
قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقه. فقال: والذي نفسي بيده،
لهما أثقل في الميزان من أحد "أي جبل أحد".

بل يشهد له النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنه من أهل
الإيمان والتقوى.

فعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: لَمَّا نزلت هذه
الآية: ﴿ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح
فيما طعموا إذا اتقوا وآمنوا...﴾ [المائدة:93]، إلى آخر

الآية قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: قيل لي أنت منهم.

بل قال الحبيب -صلى الله عليه وسلم- ذات مرة لأصحابه: اقتدوا بالذين من بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد ابن مسعود، فكانت وصيته عظيمة لأصحابه علموا من خلالها قدر ابن مسعود ومكانته ومنزلته.

ولمَ لا؟ ولقد كان ابن مسعود -رضي الله عنه- يتابع النبي -صلى الله عليه وسلم-، ويأخذ عنه القرآن حتى آخر يوم في حياته، فيعلم كل شيء عن القرآن، ويتفوق على غيره من الصحابة -رضي الله عنهم- في القرآن وعلومه.

فعن أبي ظبيان قال: قال لنا ابن عباس: أي القراءتين تقرأون؟ قلنا: قراءة عبد الله. قال: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يعرض القرآن في كل عام مرة، وأنه عرض عليه في العام الذي قبض فيه مرتين فشهد عبد الله ما نسخ.

جهاده وقصة مقتل أبي جهل:

وظل ابن مسعود -رضي الله عنه- ملازمًا للحبيب -صلى الله عليه وسلم-، ثابتًا على دينه وإيمانه، تاليًا لكتاب ربه، حافظًا سنة حبيبه -صلى الله عليه وسلم- إلى أن جاء اليوم الذي أظلمت فيه المدينة كلها بموت النبي -صلى الله عليه وسلم- فحزن عليه ابن مسعود حزنًا شديدًا؛ فقد كان -صلى الله عليه وسلم- حبيبه ورسوله ومعلمه وأستاذه ففقد كل ذلك في لحظة واحدة، وبعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- كان أصحابه -رضي الله عنهم- يعلمون قدر ابن مسعود -رضي الله عنه- ويعرفون مكانته ومنزلته.

وفي عهد أمير المؤمنين عمر -رضي الله عنه- كتب عمر بن الخطاب إلى أهل الكوفة: إني قد بعثت إليكم عمارًا أميرًا، وابن مسعود معلمًا ووزيرًا، وهما من النجباء من أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- من أهل بدر فاسمعوا لهما، واقتدوا بهما، وقد آثركم بعبد الله على

نفسى. ولقد أحبه أهل الكوفة حبًّا جمًّا لم يظفر به أحد قبله
ولا بعده.

خوفه -رضي الله عنه- وبكاؤه:

وها هي صفحة مباركة من خوفه وخشيته لله -عز وجل-

عن مسروق قال: قال رجل عن عبد الله: ما أحب أن أكون
من أصحاب اليمين تكون من المقربين أحب إليه؟ فقال:
عبد الله، لكن ها هنا رجل يود أنه إذا مات لا يبعث يعني
نفسه.

وعن الحسن قال: قال عبد الله بن مسعود: لو وقفت بين
الجنة والنار فقل لي اختر، نخيرك من أيهما تكون أحب
إليك أو تكون رمادًا؟ لأحببت أن أكون رمادًا.

وعن أبي وائل قال: قال عبد الله: وددت أن الله غفر لي
ذنبا من ذنوبي، إنه لا يعرف نسبي.

وعن عون بن عبد الله عن أخيه عبيد الله قال: كان عبد
الله إذا هدأت العيون قام، فسمعت له دويًّا كدوي النحل.

تواضعه رضي الله عنه:

عن حبيب بن أبي ثابت قال: خرج ابن مسعود ذات يوم فاتبعه الناس، فقال لهم: ألكم حاجة؟ قالوا: لا، ولكن إنا أردنا أن نمشي معك. قال: ارجعوا، فإنه ذل للتابع وفتنة للمتبوع.

وعن الحارث بن سويد قال: قال عبد الله: لو تعلمون ما أعلم من نفسي لحتوتم على رأسي التراب.

توقيره النبي -صلى الله عليه وسلم- حيًا وميتًا:

ولقد كان -رضي الله عنه- يحب النبي -صلى الله عليه وسلم- حبًا جمًّا ويوقره ويخاف أن يحدث بحديث واحد يزيد فيه كلمة أو ينقص منه حرفًا.

عن مسروق قال: حدثنا عبد الله يومًا، فقال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: فراعده حتى رعدت ثيابه. ثم قال: نحو ذا أو شبيهًا بهذا.

يقول عمرو بن ميمون: اختلفت إلى عبد الله بن مسعود سنة ما سمعته يحدث فيها عن رسول الله -صلى الله عليه

وسلم- إلا أنه حدّث ذات يوم بحديث فجرى على لسانه،
قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: فعلاه الكرب حتى
رأيت العرق يتحضر على جبهته، ثم قال مستدرّكًا: قريبًا
من هذا، قال الرسول.

ويقول علقمة بن قيس: كان عبد الله بن مسعود يقول عشية
كل خميس متحدثًا فما سمعته في عشية منها يقول، قال
رسول الله -صلى الله عليه وسلم- غير مرة واحدة،
فنظرت إليه وهو معتمد على عصا فإذا عصاه ترتجف
وتترزع.

إيثاره ثواب الآخرة على شهوات النفس:

عن الأحوص الجشمي قال: دخلنا على ابن مسعود وعنده
بنون له؛ ثلاثة غلمان كأنهم الدنانير حُسنًا، فجعلنا نتعجب
من حُسنهم! فقال لنا: مكانكم تغبطون بهم. قلنا: والله إي،
والله بمثل هؤلاء يغبط المرء المسلم.

فرفع رأسه إلى سقف بيت له صغير قد عشش فيه خطف
وباص، فقال: والذي نفسي بيده، لأن أكون قد نفضت يدي

عن تراب قبورهم أحب إليّ أن يسقط عش هذا الخطاف
وينكسر بيضه.

وعن قيس بن جبير قال: قال عبد الله: حبذا المكروهان؛
الموت والفقر، وايم الله إن هو إلا الغنى والفقر، وما أبالي
بأيهما بُليت إن حق الله في كل واحد منهما واجب، وإن
كان الغنى إن فيه إلى العرف عن المساكين، وإن كان
الفقر إن فيه للصبر.

مكانته ومنزلته في قلوب الصحابة رضي الله عنهم:

وعن زيد بن وهب قال: إني لجالس مع عمر بن الخطاب
إذ جاء ابن مسعود فكان الجلوس يوارونه من قصره،
فضحك عمر حين رآه، فجعل عمر يكلمه، ويتهلل وجهه،
ويضحك وهو قائم عليه ثم ولي، فأتبعه عمر بصره حتى
توارى، فقال: كنيف ملئ علمًا "الكنيف الوعاء".

وعن الشعبي قال: ذكروا أن عمر بن الخطاب لقي ركبًا
في سفر له فيهم عبد الله بن مسعود، فأمر عمر رجلًا
يناديهم: من أين القوم؟ فقال عبد الله: البيت العتيق، فقال

عمر: إن فيهم عالمًا. وأمر رجلًا فناداهم: أي القرآن أعظم؟ فأجابه عبد الله: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم...﴾ حتى ختم الآية. قال ناهم: أي القرآن أحكم؟ فقال ابن مسعود: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان...﴾ [النحل:90]، فقال عمر: ناهم: أي القرآن أجمع؟ فقال ابن مسعود: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره (7) ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (8)﴾ [الزلزلة:7 و8]، فقال عمر: ناهم: أي القرآن أخوف؟ فقال ابن مسعود: ﴿ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به...﴾ [النساء:123]. فقال عمر: ناهم: أي القرآن أرجى؟ فقال ابن مسعود: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله...﴾ [الزمر:53]، فقال عمر: ناهم: أفيكم ابن مسعود؟ قالوا: اللهم نعم.

كلمات تملأ القلوب نورًا:

ولا يتعجب أحدنا من تلك المناقب أن يجد ينابيع الحكمة تجري على لسان ابن مسعود -رضي الله عنه-، ولذا فإنني

أهدي إليكم تلك الباقة العطرية من مواعظه وكلامه
النفيس.

عن معن قال عبد الله بن مسعود: "إن للقلوب شهوة
وإقبالًا، وإن للقلوب فترة وإدبارًا فاغتنموها عند شهوتها
وإقبالها، ودعوها عند فترتها وإدبارها".

وعن منذر قال: جاء ناس من الدهاقين إلى عبد الله بن
مسعود، فتعجب الناس من غلظ رقابهم وصحتهم! فقال
عبد الله: "إنكم ترون الكافر من أصح الناس جسمًا
وأمرضه قلبًا، وتلقون المؤمن من أصح الناس قلبًا
وأمرضه جسمًا، وايم الله، لو مرضت قلوبكم وصحت
أجسامكم لكنتم أهون على الله من الجعلان".

وعن عبد الله قال: "مع كل فرحة طرحة، وما ملئ بيت
حبرة إلا ملئ عبرة".

وعن الضحاک بن مزاحم قال: قال عبد الله: "ما منكم إلا
ضيف، وماله عارية؛ فالضيف مرتحل، والعارية مؤداة
إلى أهلها".

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال:
أتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، علمني كلمات جوامع
نوافع. فقال له عبد الله: لا تشرك بالله شيئاً، وزل مع
القرآن حيث زال، ومن جاءك بالحق فاقبل منه وإن كان
بعيداً بغيضاً، ومن جاءك بالباطل فارده عليه وإن كان
حبيباً قريباً.

وقال عبد الله: "الحق ثقيل مريء، والباطل خفيف، ورُبَّ
شهوة تورث حزناً طويلاً".

وعن عنبس بن عقبة قال: قال عبد الله بن مسعود: "والله
الذي لا إله إلا هو، ما على وجه الأرض شيء أحوج إلى
طول سجن من اللسان".

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال:
"إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن بهلاكها".

وعن أبي عبيدة قال: قال عبد الله: من استطاع منكم أن
يجعل كنزه في السماء حيث لا يأكله السوس، ولا يناله
السراق فليفعل، فإن قلب الرجل مع كنزه.

وحان وقت الرحيل:

وبعد حياة طويلة مليئة بالعلم، والخشية، والجهاد، والبذل،
والتضحية، والرحمة، والتواضع نام ابن مسعود -رضي
الله عنه- على فراش الموت، فقد آن الأوان ليلحق بحبيبه
-صلى الله عليه وسلم- الذي لطالما ملأ عليه قلبه، ولطالما
تعلم على يديه، وبينما هو -رضي الله عنه- على فراش
الموت فإذا بعثمان بن عفان -رضي الله عنه- يأتي إليه
ويعوده "يزوره في مرضه".

عن أبي ظبية قال: مَرَضَ عبد الله فعاده عثمان، وقال: ما
تشتكي؟ قال: ذنوبي. قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي.
قال: ألا أمر لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني. قال: ألا
أمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لي فيه، ومات ابن مسعود
بالمدينة ودفن بالبقيع ليلحق بأحاباه.

ويتابع الجد: وهنا يا بني تنتهي قصة واحد من أحاب
رسولنا محمد -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه.

معاذ يبدو عليه الانسجام والتفكر والتأمل في قصة
الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، ويقول: يا له من
شرف عظيم، وخير وفير، ونعيم كبير أن يكرم الله -
سبحانه وتعالى- رجلاً، ويتحول من راعي للأغنام إلى
حبيب المصطفى -صلى عليه سلم-، وحافظ القرآن
وجامعه ومتعلمه من فم الحبيب المصطفى! إنها لقصة
صحابي عظيم! وفخرنا كبير نحن المسلمين أن من أمتنا
تلك الأمثال يا جدي!

رد الجد: بالطبع يا معاذ، لقد نطقت بكل ما في قلبي،
فنسأل الله أن يعز بفضل الإسلام والمسلمين في كل بقاع
الأرض اللهم آمين، والآن هيا بنا للدخول للنوم حتى نلحق
بالسحور إن شاء الله.

وفي عصر اليوم التالي التقى الجد والحفيد في الاستراحة
الخاصة بالجد بعد أن قام بأداء فريضة العصر في المسجد
ورجع إلى المنزل مرة أخرى، وفور دخولهم الاستراحة
قال الجد: هيا بنا يا معاذ نكمل ما عندك من تفسير وتأمل

في سورة الفاتحة، لقد اشتقت كثيرًا لمعرفة المزيد؛ لأنك تقول معلومات لم أكن أعلمها من قبل.

أمسك معاذ بالمجد الخاص به وقال للجد: لقد وصلنا يا جدي عند أنواع المحامد، وذكرت لك كما تعلمت أنها خمسة أنواع والله أعلم.

والآن سنبدأ بمعنى "الله"؛ معناها أنها مستحقة لله، وذلك أن اللام في قوله "الله" هي لام الاستحقاق، ومعنى الاستحقاق هنا "الملك" فالله -جل وعلا- هو ملك المحامد، وكذلك هو مستحقها -جل وعلا- لا يستحقها على هذا الوجه إلا هو.

وأما الخلق فقد يستحق نوعًا من أنواع المحامد، قد يستحق فرد من الأفراد نوعًا من هذه الأنواع، لكنها على هذا الوجه العظيم مستحقة لله وحده لا إله إلا هو.

اللام غالبًا إذا أتى قبلها أعيان فتكون اللام الملك، وإذا أتى قبلها معان فتكون لام الاستحقاق -مثلًا- تقول: الكتاب لفلان، هذه لام الملك؛ لأن ما قبلها عين، فإذا كان ما قبلها

معنى صارت لام الاستحقاق، كما يقال: الفخر لفلان
والكبرياء لله فالحمد لله؛ يعني المستحق لله.

وهنا نذكر معنى "الله رب العالمين"، نلاحظ هنا أنه فرق
بين الربوبية والألوهية؛ فنعت المعبود بالحق بأنه "رب
العالمين"، وفي هذا أعظم دليل على أن الربوبية ليست
هي الألوهية، فالربوبية لها معنى والألوهية لها معنى
وهذا بمقتضى اللغة.

وهنا ابتسم الجد وقال: انتظر يا معاذ قليلاً. فانتظر معاذ
وأنصت.

قال الجد لمعاذ: أنت تلقي عليّ كلاماً عظيماً له فائدة كبيرة
ومعانٍ عظيمة، ولكنني أرى أنه كلام كبير على سنك،
فما هو الأسلوب المتبع من أساتذة الدار ومعلمينه لإيصال
تلك المعلومات الكبيرة إلى عقولكم أنتم الصغار؟

ابتسم معاذ قليلاً وقال: بالفعل يا جدي، في بداية الأمر
كان الوضع ليس بالهين، وكنا أنا وأصدقائي ننسى الكثير
مما يقال لنا، ولكن مع التكرار، ومع ربط المعلومات

بالقصص رأينا أننا عندما يذكر إلينا معنى "الحمد لله رب العالمين" نستحضر معلوماتنا بالقصص وبالتكرار، وأنا الآن أقرأ من المجلد؛ فهذا المجلد طلب منا المعلم أن ندون فيه على الرغم من أننا عندما يتكرر إلينا أي لفظ نظن أنفسنا نعرفه جيدًا، ولكن المعلم أصر أن نحفظ بكل المعلومات في مجلد، وأن نرجع إليه في أي حاجة؛ لأننا لن نقدر على استيعاب كل هذه المعلومات بدون نسيان، فكان من الأفضل تدوين كل ما نتلقى من معلومات، وهذا التدوين لم يكن أثناء حديث المعلم بل بعد الانتهاء من الدرس بالقصص وبالتكرار أكثر من مرة، أعطى لنا كتابًا ومن هذا الكتاب أشار لبعض المواضيع وقال انقلوا هذه المواضيع، ولما نقلناها في المجلد اكتشفنا أننا ننقل ما خرج من فم المعلم.

هنا تعجب الجد واندesh وقال: الآن أطمئن، فأنت الآن لديك لكل سؤال إجابة، وكل إجابة بالفعل ترد على كل استفساراتي، فلا يحتاج مناقشة أكثر من ذلك، فلتكمل

الآن، لقد انتهيت الآن من معنى "الله رب العالمين" أم لديك إضافات؟

رد معاذ: سأذكر لك الآن يا جدي معنى "الرب" في اللغة. الرب في اللغة: هو المتصرف في الملكوت، المتصرف في ملكه، السيد المطاع في أمره. وربوبية الله -جل وعلا- للعالمين ظاهرة؛ ذلك أنه هو المتصرف في الملكوت، وهو المدير له، وهو الذي ينفذ أمره في هذا لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، ولا يراجع -جل وعلا- في أمر في كونه، وبهذا نعلم غلط المبتدعة من الأشاعرة ونحوهم الذين فسروا الألوهية بأنها الربوبية كما قال المتكلمة، ويقولون "أن الإله هو القادر على الاختراع، وأن الله علم على القادر على الاختراع".

القدرة على الاختراع هذه من معاني الربوبية، ليست من معاني الألوهية لا باللغة ولا بالعرف الخاص بالعرب.

ويتابع معاذ: وأخيرًا يا جدي أحب أن أذكر لك معنى "العالمين"؛ لكي نكون انتهينا من "الحمد لله رب العالمين".

"العالمين" جمع تصحيح، والعالم جمع أيضًا لا واحد له من لفظه، فالعالم جنس تحته أنواع مختلفة كما قال الشيخ "محمد عبد الوهاب" -رحمه الله تعالى- في ثلاثة الأصول: "وكل ما سوى الله عالم، وأنا واحد من ذلك العالم".

فالعوالم كثيرة؛ عالم الإنس، وعالم الجن، وعالم الملائكة، وعالم الطيور، وعالم الدواب، وعالم النباتات، وعالم الهواء، والعوالم الأخرى؛ وسميت عالمًا لأنها بها علم أحقية من أوجدها بالربوبية كاملة وأنه المعبود بالحق.

فإذًا "رب العالمين" يعني؛ أجناس هذه العوالم المختلفة ما علمت منه وما لم تعلم، كل ما سوى الله عالم وأنا واحد من هذا العالم، فأدخل في الربوبية كل ما سوى الله -جل

وعلا- من العرش فما دونه، وهذا معنى هذه الآية "الحمد لله رب العالمين".

وهنا لا بد أن نعرف الحِكم التي يجنيها العبد من الاستعاذة، والبسمة، و"الحمد لله رب العالمين":

قال العلماء عن هذه الآية أنها تفتح باب المحبة لله -جل وعلا-، لاحظ أن "الاستعاذة" فتحت باب الخوف والبهت، وأن "البسمة" فتحت باب الرجاء، و"الحمد لله" فتحت باب المحبة لله -جل وعلا- وهو رب العالمين، وهو صاحب الملكوت كله، بيده كل شيء؛ يفيض بالخير لمن يشاء ويحبسه عن يشاء، يعز من يشاء ويذل من يشاء، هذا القوي العزيز، هذا الذي له هذه الصفات وهذه النعوت وهذا الجلال ألا يستحق أن يحب؟ بلى، ولا شك.

والآية التي بعدها "الرحمن الرحيم" تفتح باب الرجاء، وهنا لا بد أن نلاحظ رجوع الرجاء من جديد، وهنا يا جدي لا بد أن أستأذنك الآن حتى أحفظ الورد المطلوب مني في دار التحفيظ، وأعلم أنك لديك ورد تلاوة للقرآن

الكريم الآن، ونقف هنا عند معنى "الرحمن الرحيم"
لنكمل في المساء إن شاء الله بعد صلاة التراويح، وأنتظر
منك قصة الصحابي الثالث معاذ بن جبل -رضي الله عنه-
إن شاء الله، وأعتقد أن والذي سيكون معنا في هذا المساء
إن شاء الله.

رد الجد: نعم يا حفيدي العزيز، قم وانطلق، وملتقي في
المساء إن شاء الله.

بعد أداء صلاة العشاء والتراويح خرج الجد والأب
والحفيد متوجهين إلى المنزل، وأثناء السير في الطريق
قام الجد بالاطمئنان على الأب وسأله عن كيف تسير
أحواله في العمل؟ ورد الأب: كل شيء على ما يرام،
تحدثت مشاكل ولكن مشاكل العمل ليست أكثر، ثم سأل
الأب عن معاذ وعن سير يومه، فروى له معاذ ما قام به
خلال اليوم، وهنا تدخل الجد وعرض على الأب
مشاركتهم في حلقة العلم بينه وبين معاذ، تحمس الأب
كثيرًا وأظهر رغبته الشديدة في الانضمام إليهم الليلة،

وقال الأب: إنها فرصة جميلة قبل الدخول إلى العشر الأواخر من شهر رمضان العظيم. رد الجد: بالفعل، نحن على مشارف العشر الأواخر من الشهر الكريم ولا بد من الاجتهاد في العبادة حتى يتقبل منا الله العبادات والطاعات. وبالفعل وصلوا إلى المنزل وتوجهوا مباشرة إلى الاستراحة، وقام الأب بإجراء اتصال؛ لكي يعلم من بالمنزل أنهم في الاستراحة، وقال لأم معاذ: أحضري بعضاً من الفاكهة ونحن بانتظارك في استراحة أبي. وبعد الدخول إلى الاستراحة جلس كلاً منهما في المقعد المريح بالنسبة له، وقال الجد لمعاذ: أكمل يا معاذ تفسير وتدبر وتأمل ما تعلمته من سورة الفاتحة، وبعد الانتهاء من آيتين من الممكن أن أروي لك قصة الصحابي الجليل معاذ بن جبل -رضي الله عنه- حتى يكون الحوار نقاشاً فيما بيننا. وبالفعل فتح معاذ المجلد الخاص بالتفسير، وقال معاذ: لقد انتهينا عند معنى "الرحمن الرحيم". فأجاب الجد: نعم يا معاذ، عند معنى "الرحمن الرحيم". وهنا دخلت الأم ولما شاهدت ما هم عليه بدا على وجهها الفرح والسعادة، فوجه

لها الجد الدعوة لحضور حلقة النقاشات، ففرحت الأم كثيراً، وقالت: أجلس مع معاذ ويحكي لي ما بينه وبينك، وكنت أود أن أحضر ولكن تحضير الإفطار وعمل المنزل يجعلني لا أتمكن من الحضور معكم، ولكن الآن من الممكن أن أكون معكم. وبالفعل أخذت الأم مقعدها وجلست لتسمع ما يدور في حلقة النقاشات بين الجد ومعاذ.

وهنا بدأ معاذ وقال: معنى "الرحمن الرحيم"؛ هما اسمان من أسماء الله الحسنى، وهما في هذا الموضع من حيث العربية نعتاً لاسم الله، نعتان للفظ الجلالة "الله"؛ فقوله تعالى: "رب العالمين" نعت أول، وقوله تعالى: "الرحمن" نعت ثانٍ، وقوله تعالى: "الرحيم" نعت ثالث، وقوله تعالى: "مالك يوم الدين" نعت رابع، والرحيم تضمن صفة الرحمة المتعلقة بالآخرة، وعلى هذا دلت تفاسير السلف كما ساق في ذلك ابن كثير -رحمه الله- من أن الرحمن هو رحمن الدنيا والآخرة، والرحيم رحيم الآخرة.

وإذا نظرت إلى الأرض بأنواعها من جبل وواد وسهل
وحجر وشجر لرأيت جميع معالمها قامت برحمة الله -
جل وعلا-، كل هذا يدل عليه هذا الاسم "الرحيم"، ولهذا
قال "رب العالمين الرحمن"؛ لأن رحمته تعلقت بكل
العالمين -جل وعلا-.

وقال -سبحانه وتعالى- بعد ذلك: "مالك يوم الدين" وهذا
نعت بعد النعوت السالفة، و"مالك" من أسماء الله -جل
وعلا-؛ فهو المالك سبحانه، فهنا سمي الله -جل وعلا-
نفسه بخمسة أسماء:

الأول: أنه الحمد؛ "الحمد لله رب العالمين".

الثاني: أنه رب؛ "رب العالمين".

الثالث: أنه الرحمن.

الرابع: أنه الرحيم.

الخامس: أنه مالك يوم الدين.

وإذا تأملت هذه الأسماء الخمسة وجدتها تتفرع عنها جميع الأسماء من حيث المعنى، فقد ذكرت لك أن أسماء الله - جل جلاله- منها ما هو راجع إلى معنى الجلال، ومنها ما هو راجع إلى معنى الجمال، ومنها ما هو راجع إلى معنى الربوبية، ومنها ما هو راجع إلى معنى الألوهية.

وهنا نظرت الأم إلى ابنها وفي عينها فخر شديد بما تسمع وترى من اندماج، وترى أيضاً من تكونت لديه شخصية المتحدث اللبق الذي يتحدث مثل معلميه في دار التحفيظ، والذي وجد الجو المناسب ليتحدث بتلك الطلاقة ويتحدث بسهولة ويسر، فإنه في عائلته وبين أفرادها، فقالت الأم: ما شاء الله! تبارك الله! أنا فخورة جداً بما رأيته منك. فضحك الجد وقال: من أول نصف ساعة؟! فقالت: لا، ولكن معاذ يحكي لي ما يدور بينك وبينه، ولكن أسرني أسلوب الإلقاء والطمأنينة التي يشعر بها وهو يتكلم. هز الجد والأب رأسيهما وقال الأب: نعم، صدقت في هذا. فقال الجد: هل لك أن تخبريني عما تعلمين عن سورة

الفاتحة؟ فقالت الأم: نعم، أعلم معلومات سطحية ككل
الناس سأشارك بها.

بسم الله الرحمن الرحيم: بداية كل سورة في القرآن
الكريم، وتعني "بسم الله الرحمن الرحيم".

الحمد لله رب العالمين: الثناء على الله والشكر له،
والاعتراف بأنه رب العالمين.

الرحمن الرحيم: صفة لله تعالى؛ تعني الرحمة والتعطف
والعطف.

مالك يوم الدين: الله هو مالك يوم الدين، والقاضي العادل
في يوم الجزاء.

إياك نعبد وإياك نستعين: نعبد الله وحده، ونستعين به في
كل شيء.

اهدنا الصراط المستقيم: نسأل الله أن يهدينا إلى الطريق
المستقيم، ويبعد عنا الضلال.

صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين: نسأل الله أن يجعلنا من أهل الطريق المستقيم الذين أنعم الله عليهم، ويحمينا من طريق المغضوب عليهم والضالين.

قال الجد والزوج في نفس واحد: ما شاء الله! تبارك الله! لقد استفدنا كثيرًا من بساطة شرحك لكل آية.

قال الجد: يمكنك الآن أن تكمل يا معاذ الآية الكريمة: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.

قال معاذ: قبل هذه الآية يا جدي، أريد أن أخبركم أن سورة الفاتحة تحتوي على أصول الأسماء الحسنی كما قال ابن القيم، وشيخه شيخ الإسلام، وجمع كثير من المحققين -رحمهم الله تعالى- في مسائل الأسماء والصفات هنا، قال: مالك يوم الدين أولاً من حيث صفة الله -جل وعلا-، وعلى هذا يبقى عليّ الخوف؛ لأن يوم الدين هو يوم الجزاء ويوم الحساب.

وهنا لا بد أن نعرف الحِكم التي يجنيها العبد من تلاوة
"مالك يوم الدين".

فقوله: "مالك يوم الدين" مورثًا للخوف لمن عقله، فمن
قالها يتذكر ما في قلبه من أنواع الشبهات التي منعت
استسلامه الكامل لربه -جل وعلا-، فإذا كان يعقل ما يقول
سيورثه ذلك خوفًا من ذلك اليوم الذي يحاسب الله -جل
وعلا- فيه الخلائق، ولهذا قال العلماء "إن الله -جل جلاله-
بدأ في هذه السورة بذكر ما يحسم به العبد، أو بذكر ما
يورث في العبد المحبة لله؛ وهي ربوبية الله -جل وعلا-
للعالمين في ذكر ما يبعث الرجاء في القلب بقوله:
"الرحمن الرحيم"

ثم ذكر ما يبعث الخوف في القلب؛ وهو قوله: "مالك يوم
الدين"

ومعنى الدين في اللغة العربية والشريعة:
جاءت كلمة "دين" في القرآن على معانٍ، وأصلها في
اللغة العادة المتكررة.

فالدين يراد به ما يلتزمه المرء من الاعتقاد، أو القول، أو العمل، قال -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران:19].

وأيضًا يطلق "الدين" ويراد به الجزاء، وذلك في آيات منها قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾، ومنها قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور:25]؛ يعني جزاء هم الحق، فالدين يأتي في القرآن بمعنى الجزاء في آيات كثيرة، ومن ذلك قوله: ﴿كَلَّا بَلْ تُكذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ [الانفطار:9]؛ يعني بالجزاء.

وقوله سبحانه: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ [الواقعة:86]؛ يعني غير مجزية بأعمالكم ولا محاسبين.

وأخيرًا أذكر لكم فائدة التخصيص بـ"يوم الدين":

يوم الدين هو يوم المجازاة، ويوم الحساب، ويوم توفى فيه كل نفس ما عملت، وهذا تتعلق به النفوس، وإن كان كذلك عمله يحدث له تعلق به من جهة النظر إلى ذلك اليوم، فيكون قد جمع في قلبه بين محبته وعبادته في الدنيا

وبين تعلق قلبه في الآخرة؛ فهو إذا كرر هذا نظر إلى هذا المعنى. كذلك من وجه التخصيص أن قوله ﴿مالك يوم الدين﴾ في مقام أن يحضر في قلب العبد المؤمن وهو يتلو هذه الآية ما يحصل في يوم الدين من جميع الأحوال؛ لأنه قال "مالك يوم الدين" واليوم يخص فيه جميع تلك الأمور من قيام الناس من كبرهم، ومن أصول الناس إلى المحشر، وغير ذلك إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

فكان المتدبر والمتأمل إذا قرأ ذلك استحضره بتفاصيله أمامه وهذا يبعث على خوف محدد، وهذا يفيدنا في تفسير قوله: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، وهذا هو الغرض الذي بفهمه وتدبره يحصل المقصود؛ لأن الرسل إنما بعثت لترشد العباد لعبادة الله وحده دون ما سواه.

قال الجد: ما شاء الله يا معاذ! أنت فعلاً تجيد استقبال كل المعلومات من معلمك بالدار، من الممكن الوقوف هنا لكي

ترتاح وأنا أروي قصة الصحابي الجليل معاذ بن جبل -
رضي الله عنه-.

وهنا قال الأب: اسمح لي يا والدي أن أذكر لكم بعضًا من
فوائد سورة الفاتحة، لقد بحثت فيما مضى عنها؛ لكي نعلم
فوائد بعض سور القرآن وكان من ضمنها بالتأكيد سورة
الفاتحة.

سورة الفاتحة هي سورة مكية من القرآن الكريم، وهي
أول سورة في المصحف الشريف، ولها فضل كبير في
الإسلام، ومن فوائدها:

- تعد سورة الفاتحة من أشهر السور التي يستخدمها
المسلمون في صلاتهم، حيث يجب قراءتها في كل ركعة
من الصلاة.

- تعد سورة الفاتحة دعاءً شاملاً يحتوي على الحمد والثناء
على الله، والدعاء بالهداية والاستقامة والتوفيق،
والاستعانة بالله، وهي تعبر عن الإيمان بالله وتوحيد الله.

- تعد سورة الفاتحة شفاءً للأمراض الروحية والنفسية، حيث يستخدمها المسلمون في الرقية الشرعية لعلاج الأمراض النفسية والروحية.

- تعد سورة الفاتحة من أهم السور التي يجب على المسلم حفظها، حيث يعد حفظها من الأسباب التي تساعد في تحفيظ القرآن الكريم بشكل عام.

- تعد سورة الفاتحة من أفضل الأدعية التي يمكن للمسلم أن يدعو بها في أي وقت، حيث تحتوي على دعاء للهداية والاستقامة والتوفيق والاستعانة بالله في جميع الأمور.

- تعد سورة الفاتحة من أفضل الأدعية التي يمكن للمسلم الدعاء بها للمريض، حيث تحتوي على دعاء للشفاء والرحمة والمغفرة والعافية.

- إن سورة الفاتحة تعد من أهم السور في الإسلام، ولها فضل كبير في العبادة والدعاء والشفاء، ويجب على كل مسلم حفظها وتدبر معانيها والعمل بها.

ولهذه الأسباب فرحت كثيرًا عندما علمت منكما أنكما تتأملان وتتدبران في آيات القرآن الكريم وسوره، وخير ما بدأت به سورة الفاتحة، جزاكم الله كل الخير.

هنا ارتسمت على الجد ابتسامة بها كثير من الفخر والاعتزاز بالعائلة الجميلة الراقية المتعلمة الساعية دائمًا للارتقاء بالعلم والاجتهاد في العبادة من خلال المعرفة والتدبر والعمل بما يرضي الله، فدخل الجد في شرود للحظات وخلال هذه اللحظات من الشرود تأمل وقال لنفسه: بعد الوصول إلى سن التقاعد أيقنت أنني جهلت كثيرًا من المعلومات المهمة في حياتي وندمت لأنني لم أحصل عليها منذ الصغر، ولكنني الآن لست نادمًا تمامًا بعدما رأيت ابني وحفيدي يتعلمان ويتدربان وأمامهما مستقبل كبير، وبإذن الله وتوفيقه يتمكننا من تطبيق كل خير في حياتهما اليومية حتى يتذوقا حلاوة الإيمان، وأن تكون حياتهما آمنة مستقرة، وأن يكون الحمد دائمًا على لسانيهما في السراء والضراء حتى يحفظ الله بها النعم،

والحمد لله أنني على قيد الحياة وأرى هذا الجمع الطيب
الكريم ينير حياتي، لقد أنعم الله عليّ بولد واحد ورضيت
واجتهدت أن أعلمه أفضل تعليم وأحسن تربيته حتى يكون
له شأن، وحتى يرضى بما هو فيه الآن، وبفضل الله رزقه
الله -سبحانه وتعالى- زوجة طيبة مباركة أسعدته في
الحياة، وأنجب طفلاً جميلاً منذ صغره وأتوسم فيه اللباقة
والرقي، وبالفعل أحمد الله أنني على قيد الحياة وأرى كل
ذلك، فهذا فضل من رب كريم وعظيم. وهنا قال الحفيد:
هيا يا جدي، لتقص الآن قصة الصحابي الجليل معاذ بن
جبل -رضي الله عنه-.

فتح الجد الكتاب وبدأ بالقراءة فقال: قال رسول الله -صلى
الله عليه وسلم-: يا معاذ، والله إنني لأحبك.

يقول -صلى الله عليه وسلم-: من يرد الله به خيراً يفقهه
في الدين. قلم (ك) للنشر الإلكتروني

ونعمة العلم من أعظم النعم؛ ولذا فقد أمر الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- أن يطلب المزيد منه، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وقل ربي زدني علماً﴾ [طه:114].

كان معاذ -رضي الله عنه- ثمرة مباركة من ثمرات الدعوة إلى الله تعالى؛ فلقد أسلم على يد مصعب بن عمير -رضي الله عنه- الذي كان يعتمد في دعوته على الرحمة والحكمة والموعظة الحسنة، وهذه والله من أفضل أساليب الدعوة إلى الله.

وفي ليلة العقبة كان معاذ مع الاثنيين والسبعين الذين شهدوا تلك البيعة المباركة، فوضع يده في يد الحبيب -صلى الله عليه وسلم- وبايعه ليسطر بذلك صفحة واسعة البياض على جبين التاريخ.

وما أن عاد معاذ -رضي الله عنه- إلى المدينة حتى أيقن أن الخير الذي حصل له لم يكن إلا ببركة الدعوة إلى الله تعالى، فقام يحمل لواء الإسلام خفاً عالياً ليأخذ بيد الناس

من حوله إلى جنة الرحمن التي فيها ما لا عين رأت،
ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

فكان من بركة دعوته أن الله جعله سببًا في إسلام سيد من
سادات بني سلمة، فإنه لما قَدِمَ معاذ ومن معه ممن أسلموا
إلى المدينة أظهروا الإسلام بها، وفي قومهم بقايا من
شيوخ لهم على دينهم من الشرك منهم عمرو بن الجموح،
وكان ابنه معاذ بن عمرو شهد العقبة وبايع رسول الله -
صلى الله عليه وسلم- بها، وكان عمرو بن الجموح سيدًا
من سادات بني سلمة، وشريفًا من أشرفهم، وكان قد
اتخذ في داره صنمًا من خشب يقال له "مناة"، كما كان
الأشراف يصنعون؛ يتخذونه إلهًا يعظموه ويظهروه فلما
أسلم فتیان بني سلمة؛ معاذ بن جبل، وابن معاذ بن عمرو،
وابن الجموح، في فتیان منهم من أسلم وشهد العقبة كانوا
يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك، فيحملونه
ويطرحونه في بعض حفر بني سلمة وفيها القاذورات،
ومخلفات قضاء الحاجة منكسًا على رأسه، فإذا أصبح

عمرو قال: ويلكم! من عدا على إلهنا هذه الليلة؟ قال: ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجدته غسله وطهره وطيبه، ثم قال: أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزينه. فإذا أمسى ونام عمرو عدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى فيغسله ويطهره ويطيبه، ثم يعودان عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك، فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوماً فغسله وطيبه وطهره ثم جاء بسيفه فعلقه عليه، ثم قال: إني والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى، فإذا كان فيك خيراً فامتنع فهذا السيف معك. فلما أمسى ونام غدوا عليه؛ فأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عذر من عذر الناس، ثم غدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به، فخرج يتبعه حتى وجدته في تلك البئر منكسراً منقرناً بكلب ميت، فلما رآه أبصر شأنه وكلمه من أسلم من رجال قومه فأسلم برحمة الله وحسن إسلامه.

محبة النبي -صلى الله عليه وسلم- له والأوسمة التي
وضعتها على صدره:

فلما قَدِمَ الحبيب -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة مهاجرًا
فرح معاذ لقدومه أشد الفرح، ولازمه ملازمة العين
لأختها، وتعلم منه العلم الغزير من نبعه الصافي، بل
وتعمق في معرفة الحلال والحرام وسائر شرائع الإسلام
حتى أصبح من أعلم الصحابة بكتاب الله وسنة رسوله -
صلى الله عليه وسلم-.

فعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله -صلى الله
عليه وسلم-: "خذوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود،
وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة".
وعن أنس -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه
وسلم- قال: "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدها في دين
الله عمر، وأصدقها حياءً عثمان، وأعلمهم بالحلال
والحرام معاذ".

بل لقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقربه إليه ويكرمه
أيما كرم.

فعن معاذ بن جبل قال: كنت رديف رسول الله -صلى الله
عليه وسلم- على حمار يقال له "غفير"، وهذا دليل على
عظيم تواضع النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعلى قدر
معاذ ومكانته عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

عن معاذ بن جبل أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-
أخذ بيده وقال: "يا معاذ، والله إنني لأحبك، والله إنني
لأحبك. فقال: أوصيك يا معاذ، لا تدعن في دبر كل صلاة
تقول: "اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك".
بل يوضح النبي -صلى الله عليه وسلم- مكانة معاذ بين
العلماء يوم القيامة.

فعن محمد بن كعب القرظي قال: قال رسول الله -صلى
الله عليه وسلم-: "إن معاذ بن جبل أمام العلماء رتوةً"،
والرتوة هي الدرجة والمنزلة.

ويريد الحبيب -صلى الله عليه وسلم- يومًا أن يثني عليه،
فيقول: "نعم الرجل معاذ بن جبل"

وعلم أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- مكانته، فكانوا
يحملون له كل الحب والتقدير في قلوبهم.

عن عبد الله بن مسعود أنه قال: أن معاذًا كان أمة قانتًا
لله، قال: فقال رجل من أشجع الرجال يقال له "فروة بن
نوفل": "إنما ذاك إبراهيم. قال: فقال: عبد الله من نسي؟
إنما كنا نشبهه بإبراهيم. قال: واسأل عبد الله عن الأمة.
فقال: معلم الخير، والقانت المطيع لله ورسوله.

وعن محمد بن سهل بن أبي حثمة عن أبيه قال: كان الذين
يفتون على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثلاثة
من المهاجرين: عمر وعثمان وعلي، وثلاثة من
الأنصار: أبي بن كعب ومعاذ ويزيد.

خروجه إلى اليمن للدعوة ونشر العلم:

فقد كان الحبيب -صلى الله عليه وسلم- يضع الرجل
المناسب في المكان المناسب؛ فهو يعلم طاقات الرجال

من حوله، فكان يوظف تلك الطاقات في خدمة الإسلام
والمسلمين على أكمل وجه.

وها هو النبي -عليه الصلاة والسلام- يرى جموع قريش
تدخل في دين الله أفواجًا بعد فتح مكة، ويشعر بحاجة
المسلمين الجدد إلى معلم كبير يعلمهم الإسلام، ويفقههم
بشرائعه في عهد خلافته على مكة عتاب بن أسيد وسيبقي
معه معاذ بن جبل؛ ليعلم الناس القرآن، ويفقههم في دين
الله.

ولما جاءت رسل ملوك اليمن إلى رسول الله -صلى الله
عليه وسلم- تعلن إسلامها، والسلام من ورائها، وتسأله
أن يبعث معها من يعلم الناس دينهم، أن تبدأ لهذه المهمة
نفرًا من الدعاة الهداة من الصحابة وأمر عليهم معاذ بن
جبل -رضي الله عنه-.

وعن معاذ قال: لما بعثني النبي -صلى الله عليه وسلم-
إلى اليمن قال لي: كيف تقضي إن عرض قضاء؟

قال: قلت: أقضي بما في كتاب الله، فإن لم يكن فيما قضى به رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. قال: فإن لم يكن فيما قضى به رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو؛ أي لا أتجاوز ذلك، فضرب صدري وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لِمَا يرضي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

الحبيب -صلى الله عليه وسلم- يودع حبيبه:

وعندما خرج الحبيب -صلى الله عليه وسلم- يودع معاذ -رضي الله عنه- أحس أنه لن يراه بعد اليوم، وأن هذا هو آخر لقاء يجمعهما في الدنيا، فقال له تلك الكلمات المؤثرة: فعن عاصم بن حميد السكوني أن معاذ بن جبل لما بعثه النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى اليمن خرج يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يمشي تحت راحلته فلما فرغ قال: "يا معاذ، إنك عسى ألا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي وقبري" فبكى

معاذ جزعاً لفراق رسول الله -صلى الله عليه وسلم' فقال:
"لا تبك يا معاذ أو أن البكاء من الشيطان".

وسافر معاذ إلى اليمن يدعو إلى الله، ويعلم الناس شرائع الإسلام، وبعد فترة يسيرة توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبل أن يرجع معاذ من اليمن، فلما عاد إلى المدينة ولم يجد فيها الحبيب -صلى الله عليه وسلم- أحس وكأن روحه قد خرجت من جسده، بل أحس بأن الدنيا كلها أظلمت من حوله، وجلس يتذكر تلك الأيام التي قضاها في صحبة الحبيب -صلى الله عليه وسلم- يتلقى على يديه العلم، ويتعلم منه الرحمة والأخلاق الكريمة التي ينذر وجودها في هذا الكون.

وبعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- تولى الخلافة أبو بكر -رضي الله عنه-، وكان يعرف لمعاذ قدره ومكانته. وكان معاذ -رضي الله عنه- سمح اليد والنفس والخلق، فلا يُسأل عن شيء إلا أعطاه حتى ذهب جوده وسخاؤه بكل ماله، فلما عاد معاذ من اليمن ومعه شيء من المال

والرقيق فلقى عمر بمكة فقال: ما هؤلاء؟ قال: أهدوالي.
قال: ادفعها إلى أبي بكر. فأبى فبات فرأى كأنه يجر إلى
النار، وأن عمر يجذبه، فلما أصبح قال: يا ابن الخطاب،
ما أراني إلا مطيعك إلا أن قال: فدفعهم أبو بكر إليه، ثم
أصبح فرآهم يصلون قال: لمن تصلون؟ يسأل الرقيق
والعبيد؟ قالوا: لا. قال: فأنتم لله.

وما كان عمر متجنياً على معاذ بتهمة أو ظن، وإنما هو
عصر المثل كان يزخر بقوم يتسابقون إلى ذرى الكمال
الميسور، فمنهم الطائر المحلق، ومنهم المهرول، ومنهم
المقتصر، ولكنهم جميعاً في قافلة الخير سائرون.

حرصه - رضي الله عنه - على الإكثار من ذكر الله:

عن معاذ قال: ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله
من ذكر الله. قالوا: يا أبا عبد الرحمن، ولا الجهاد في
سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد إلا أن يضرب بسيفه حتى
ينقطع؛ لأن الله - تعالى - يقول في كتابه: ﴿ولذكر الله أكبر﴾
[العنكبوت: 45].

وعن يحيى بن سعيد أن معاذ بن جبل كان له امرأتان،
فإذا كان يوم إحداهما لم يتوضأ في بيت الأخرى.

ولمعاذ بن جبل صفحات مشرقة من جهاده في سبيل الله:
وقد كان معاذ يبحث عن الشهادة فيما ظنها، ويقبل عليها
إقبال الظامئ على الماء البارد في اليوم القائظ؛ فكان -
رضي الله عنه- قائد ميمنة في "أجنادين" قام في أصحابه
فقال: يا معشر المسلمين، اشتروا أنفسكم من يوم الله،
فإنكم إن هزمتموهم اليوم كانت هذه البلاد دار الإسلام
أبدًا مع رضوان الله والثواب العظيم من الله.

وفي "فحل بيسان" كان -رضي الله عنه- على ميمنة
المسلمين؛ ليلقن الناس درسًا في أن أهل العلم هم أقدر
الناس على حمل لواء الجهاد والثبات عند الشدائد وفي
المكاره.

قال ثابت بن سهل بن سعد: كان معاذ بن جبل يومئذ من
أشد الناس علينا حرصًا، وأمضانا في رقاب الروم سيفًا،
فبينما هو يحارب في ميمنة المسلمين إذ أقبلت جنود الروم

تحاوط عسكري المسلمين برز إليهم معاذ بن جبل في
رجاله ونادى فقال: "أيها الناس، اعلموا -رحمكم الله- أن
الله قد وعدكم بالنصر، هو أيديكم بالإيمان، فانصروا الله
ينصركم ويثبت أقدامكم، واعلموا أن الله معكم وناصركم
على عبدة الأوثان".

ويقول لوجهاء الروم قبل معركة "فحل" لما فاوضهم
ورفض الجلوس معهم على البسط: والجلوس على هذه
النمارك التي استأثرت بها على ضعفائكم أهل ملتكم إنما
هي من زينة الدنيا وغرورها، وقد زاهد الله في الدنيا
وذمها، ونهى عن البغي والصراف فيها، فأنا جالس ها
هنا على الأرض وكلموني. ولما قالوا له: "اذهب إلى
أصحابك فوالله إنا لنرجو أن نفركم في الجبال غدًا -أي
نجعلكم تفرون في الجبال، قال معاذ: أما الجبال فلا، ولكن
والله لا تقتلون على آخرنا، أو لنخرجنكم من أرضكم أذلة
وأنتم صاغرون.

وفي يوم اليرموك كان -رضي الله عنه- قائد ميمنة، وفي صباح المعركة وقف يخطب في الناس ويقول: يا قراء القرآن، مستحفظي الكتاب، وأنصار الهدى، وأولياء الحق، إن رحمت الله والله لا تنال وجنته لا تدخل بالأمانى، ولا يؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادقين المصدقين بما وعدهم الله -عز وجل-، ألم تسمعوا قوله -عز وجل-: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [النور:55]

أنتم إن شاء الله منصورون، فأطيعوا الله ورسوله، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، واصبروا إن الله مع الصابرين، واستحيوا من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم، وأنتم في قبضته ورحمته، ليس لأحد منكم من جاه من دونه ولا متعزز بغير الله.

ولما قدر الروم على الميمنة صاح معاذ: يا عباد الله المسلمين، إن هؤلاء تيسروا للشدة عليكم، ولا والله لا يردهم إلا صدق اللقاء والصبر في البأساء، ثم نزل عن فرسه وقال: من أراد أن يأخذ فرسي ويقا تل عليه فليأخذه، وآثر بذلك أن يقا تل رجلاً من المشاة، فوثب إليه ابنه عبد الرحمن بن جبل وهو غلام قد احتلم، فقال: يا أبتى، إني لأرجو أن أكون أنا فارساً أعظم غناء عن المسلمين مني رجلاً، وأنت يا أبتى رجل أعظم منك فارساً وأعظم المسلمين رجلاً، وإذا رأوك صابراً محافظاً صبروا إن شاء الله وحافظوا، فقال معاذ: وفقني الله وإياك يا بني.

وأخيراً حان وقت الرحيل:

ويهاجر بعد ذلك معاذ -رضي الله عنه- إلى بلاد الشام؛ ليكمل رسالته العظيمة في تعليم الناس أمور دينهم، وشرية ربهم، وسنة نبيهم -صلى الله عليه وسلم-.

فلما أصيب أبو عبيدة -رضي الله عنه- استخلف عمر معاذًا -رضي الله عنهما- على الشام، ولم يمض على ذلك بضعة أشهر حتى لقي ربه مخبئًا منيبًا.

عن أم سلمة أن أبا عبيدة لما أصيب استخلف معاذ بن جبل؛ يعني في طاعون "عمواس"، اشتد الوجع فصرخ الناس إلى معاذ: ادع الله أن يرفع عنا هذا البلاء. قال: إنه ليس ببلاء، ولكنه دعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وشهادة يختص الله بها من يشاء منكم. أيها الناس، أربح حلال من استطاع ألا تدركه. قالوا: ما هي؟ قال: يأتي زمان يظهر فيه الباطل، ويأتي زمان يقول الرجل والله ما أدري ما أنا! لا يعيش على بصيرة، ولا يموت على بصيرة.

وفي رواية أخرى أنه لما نزل الطاعون في جند الشام وهو فيهم، قال للصحابة: "رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، اللهم فأت آل معاذ النصيب الأوفر من هذه الرحمة" فما آسى حتى طعن ابنه عبد

الرحمن، وأحب الناس إليه الذي كان يكنى به، فرجع معاذ من المسجد فوجده مكروبًا، فقال: يا عبد الرحمن، كيف أنت؟ فاستجاب له فقال عبد الرحمن: يا أبتى، ﴿الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ [البقرة:147].

فقال معاذ -رضي الله عنه-: وأنا ستجدني -إن شاء الله- من الصابرين. فمات في ليلته ودفن في الغد.

رضي الله عنك من مشتاق إلى ربك يدعو ربه: "اللهم إن كنت تعلم أن معاذ بن جبل سمعه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأعطه هو وأهل بيته الحظ الأوفر منه." فأصابهم الطاعون فلم يبق منهم أحد، فتغنى في إصبعه السبابة فكان يقول: ما يسرني أن لي بها حمر النعم.

ولما اشتد به نزع الموت كان كلما أفاق من غمره فتح طرفه فقال: اخنق خنقك، فوعزتك إنك لتعلم أني أحبك.

وفي الزهد لأحمد لما حضر الموت؛ يعني معاذ قال: "أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، مرحبًا بالموت، مرحبًا زائر مغرب حبيب جاء على فاقة، اللهم إنني قد كنت

أخافك فأنا اليوم أرجوك، اللهم إن كنت تعلم أنني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها؛ لكري الأنهار، أو لغرس الأشجار، ولكن عظماء لظماً الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر".

ورحل معاذ -رضي الله عنه- عن الدنيا وبقي علمه، بل وبقيت سيرته العذبة، رحل عن الدنيا؛ ليلحق بالحبیب -صلى الله عليه وسلم- في جنات النعيم التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، رضي الله عن معاذ وعن سائر الصحابة أجمعين.

إلى هنا انتهت قصة الصحابي الجليل معاذ بن جبل.

في تأثر تام من الحاضرين قال الأب: يا لهؤلاء القوم! رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، لا يوجد مثلهم في هذا الزمان، جمعوا بين العلم، والجهاد، والاجتهاد، والنصيحة بالقول والعمل، حق علينا أن نشكرهم دائماً، وأن نتعلم من قصصهم، فلنا في قصصهم العبر، والحكم، والمواعظ الحسنة.

وهنا قال معاذ: بالفعل يا أباي، لقد تعلمت كثيرًا من هذه القصص، فحتى الآن لم أكن أتخيل كم المواقف، وكم البطولات، وكم العلم الذي كان يملكه هؤلاء النفر، وما يدهشني أكثر من ذلك أنهم لم يكونوا أصحاب تجارة، ولا أصحاب مال وفير؛ ليتعلموا العلوم في أعرق الجامعات، ولكن كانوا بدو بادية كما يقول المعلم في دار التحفيظ، وخرجوا منها لينيروا العالم كله بنور العلم الذي نزل على رسولنا محمد -صلى الله عليه وسلم-! فأنا يا جدي أرى لذتي ومتعتي في سماع مثل هذه القصص التي منها أتعلم، وفيها أتعجب، ومن أحداثها أرتوي شغفًا وحبًا واجتهادًا.

فرح الجد كثيرًا بما قاله الأب والحفيد، والجد يعلم تمام العلم أن القصص تنير كثيرًا، وتُبَسِّط كثيرًا من الأمور، وتجعل الشخص على دراية بأسلوب بسيط ومبسط يجعله يتذكر ما في القصص والمواقف، ويتعلم منها تمام العلم، بل ويذكرها دائمًا، ويذكر بها نفسه.

وهنا قال الجد: هيا بنا لندخل المنزل حتى نخلد إلى النوم حتى نقوم على السحور. قالت الأم: لقد سرقنا الوقت كثيرًا، ولكنني استمتعت كثيرًا بما سمعت. وقام الجميع ودخلوا إلى المنزل، وبعد الدخول إلى المنزل وجدوا الجدة قد غلبها النوم، فقالت أم معتصم: ما رأيكم تتضمن إلينا غدًا أو في الجلسة القادمة الجدة؛ لتستمع معنا بجمال القصص، وفي نفس الوقت نكون كلنا في حلقة واحدة؟ ابتسم الجد وقال: فكرة رائعة -إن شاء الله- في قادم الحلقات والجلسات تتضمن معنا.

وفي اليوم التالي وبعد أداء صلاة الظهر في بهو المنزل يجلس الجد والجدة، وبادر الجد بفتح النقاش وقال: ما رأيك تتضمني إلينا في حلقات وجلسات نجلس خلالها نتدبر ونتأمل في تفسير آيات القرآن الكريم؟ اندهشت الجدة قليلًا، وقالت: يحدث هذا وأنا لست على دراية! ابتسم الجد وقال: هذا لم يكن منذ وقت طويل بل إنه تقريبًا من أول أسبوع في شهر رمضان العظيم، ونحن اليوم

على بعد يومين فقط من دخول العشر الأواخر من شهر رمضان، ولكن عندما انضم إلينا ليلة أمس زوجة ابننا اقترحت علينا أن ننضمي إلينا؛ حتى تكون الأسرة كلها مجتمعة، وتتبادل المعلومات ونتأمل وكل من لديه معلومة يقصها علينا، فقالت الجدة: فكرة جميلة، ولكن أخبرني من اقترح هذا الاقتراح من البداية؟ رد الجد: صدقيني بالصدفة البحتة جلست أنا ومعاذ نتناقش عما يدور خلال يومه فتحاورنا فيما يتلقاه من علم في دار تحفيظ القرآن، وقال لي يوجد جلسات تدبر مع جلسات الحفظ، فقلت له أخبرني ما عندك وسأخبرك ما عندي، وبدأت من هنا وينضم إلينا ابننا من حين لآخر، ومثلما ذكرت لك انضممت إلينا زوجة ابننا ليلة أمس فقط، ولكن أضافت ما عندها، فما رأيك في الانضمام إلينا؟ نظرت الجدة إلى زوجها وقالت: بالطبع هذا شيء جميل، ولكن في أي وقت تجلسون؟ قال الجد: في الغالب بعد صلاة التراويح، والتقينا أنا ومعاذ في بعض الأيام بعد صلاة العصر. قالت الجدة: هل ستجلسون اليوم؟ رد الجد وقال: إن شاء الله

سنجلس حتى ننتهي من التأمل والتدبر في آيات سورة الفاتحة قبل دخول العشرة أيام الأخيرة من رمضان؛ حتى نتفرغ لصلاة التهجد والدعاء في الليالي العشر الأخيرة من رمضان. اندهشت الجدة وقالت: منذ بداية شهر رمضان وأنتم فقط في سورة الفاتحة؟! ابتسم الجد وهز رأسه وقال: كل يوم نضيف معلومات جديدة عن هذه السورة العظيمة، أحسست نفسي أننا في بحر لا نهاية له، ونحن في بداية المصحف وبداية سورة الفاتحة، فهي أم الكتاب وبها الكثير والكثير ولم ننتهي إلى الآن؛ فمعاذ يشرح لنا ما تحصل عليه من دار التحفيظ، ونحن نضيف إليه ما نعلمه من معلومات. قالت الجدة: حسنًا، سأنضم وستخبروني سريعًا عما وصلتكم إليه، وسأخبركم بما أعلم. ابتسم الجد وقال: بالطبع، هذا ما فعلناه مع ابنتنا ومع زوجته عندما انضموا إلى جلساتنا، ومن الممكن اليوم أن نمد الجلسة أكثر؛ حتى ننتهي مثلما أخبرتك من سورة الفاتحة إن شاء الله.

بالفعل بعد صلاة التراويح توجه أفراد الأسرة إلى الاستراحة، وبدأوا في المناقشات، وأخبر الجد الجدة بما ظهر خلال الأيام السابقة، وشرح لها شرحًا سريعًا عما يدير الحوار بالنسبة لتفسير آيات سورة الفاتحة وتدبرها، وأيضًا قصص الصحابة الأربعة، وسعدت الجدة كثيرًا بما سمعت وبما عرفت، وقالت لهم: قبل أن تكملوا أريد أن أخبركم عما أعلم عن سورة الفاتحة؛ لعلها تكون إضافة لكم، فلقد بحثت منذ فترة كبيرة عن تفسير لبعض سور القرآن الكريم وكان من ضمن السور سورة الفاتحة، ولكن ليس تفسيرًا دقيقًا مثلما تفسرون وتؤمنون، ولكن تفسيرًا يمكن أن يوضح لكم بشكل عام كل آية من آيات السورة الكريمة، قال الجد: بالتأكيد، تفضلي.

قالت الجدة: سورة الفاتحة هي السورة الأولى في القرآن الكريم، وتعدُّ من أشهر السور في القرآن الكريم، وتُعرف أيضًا باسم "أم الكتاب". تتألف سورة الفاتحة من سبع

آيات، وهي سورة مكية؛ أي أنها كانت تنزل على النبي محمد قبل هجرته إلى المدينة.

تتحدث سورة الفاتحة عن وحدانية الله، وعظمته، وسلطانه على الخلق، وتدعو المؤمنين إلى الاستغفار، والتوبة، والتوكل على الله، وطلب الهداية في الدنيا والآخرة.

تفسير سورة الفاتحة:

الآية الأولى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

تعني هذه الآية ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وهي بداية كل سورة في القرآن الكريم، وهي تعبر عن الحاجة إلى الاستعانة بالله والتوكل عليه وهو الذي يتمتع بالرحمة والرحمة الواسعة.

الآية الثانية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

تعني هذه الآية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وهي تعبر عن الشكر والثناء على الله الذي هو رب العالمين ومدبر أمورهم.

الآية الثالثة: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

تعني هذه الآية ﴿الرحمن الرحيم﴾، وهي تعبر عن صفة الله الرحمة الواسعة التي تشمل جميع خلقه.

الآية الرابعة: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

تعني هذه الآية ﴿مالك يوم الدين﴾، وهي الآية الرابعة من سورة الفاتحة في القرآن الكريم. ويمكن فهمها بمعنى "المالك والسيد في يوم القيامة"، وتعبر عن الإيمان بالله كسيد ومالك يوم الدين الذي هو يوم الحساب والجزاء. وتشير هذه الآية إلى قدرة الله وسلطانه في اليوم الذي يحكم فيه على الناس، ويجازيهم على أعمالهم، ويفصل فيما بينهم. وفيها تتجلي قوة الإيمان بالله وخضوع العبد له، وتعظيم حقوق الله على العبد، وتحذيره من مخالفة أوامره وترك محظوراته؛ حتى يتمتع برضاه ورحمته في يوم الحساب والجزاء.

الآية الخامسة من سورة الفاتحة هي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ﴾، وتترجم إلى اللغة العربية الحديثة كـ"نحن
نعبدك ونستعين بك".

تعتبر الآية الخامسة من الفاتحة من أهم الآيات في
السورة؛ إذ تعبر عن التوحيد والإيمان بالله وحده، وعن
الاستغاثة والتوسل إليه في جميع شؤون الحياة. وتعني
الآية بشكل عام أن الإنسان يعبد الله وحده، ويسعى إليه
وحده ويتوسل إليه وحده المساعدة والإغاثة في جميع
الأمر.

ويمكن فهم الآية أن الإنسان يقوم بعبادة الله وحده، ويعتمد
عليه في جميع أمور حياته، ويتوسل إليه ويستعين به في
كل ما يحتاجه. ويعد هذا الأسلوب من أهم الأساليب التي
يحث عليها الإسلام، حيث يعد الله هو المعبود الحقيقي
والمستعان الحقيقي، ويجب على الإنسان أن يتوجه إليه
في جميع شؤون حياته.

الآية السادسة من سورة الفاتحة هي: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ﴾، وتترجم إلى اللغة العربية الحديثة كـ "اهدنا إلى
الطريق المستقيم".

تعبر هذه الآية عن الدعاء الذي يردده المسلمون في كل
صلاة؛ وهو أن يهديهم الله إلى الطريق المستقيم والحق
الذي يؤدي بهم إلى رضا الله وجنته. وتعني هذه الآية أن
الإنسان يطلب من الله أن يهديه إلى الحق والصواب، وأن
يساعده على اتباع الطريق المستقيم الذي يؤدي به إلى
النجاة في الدنيا والآخرة.

أما الآية السابعة فهي: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، وتترجم إلى اللغة العربية
الحديثة كـ "طريق الذين أنعمت عليهم، ليس طريق الذين
غضبت عليهم، ولا الذين ضلوا".

تعني هذه الآية أن الإنسان يطلب من الله أن يهديه إلى
الطريق الذي سلكه الأنبياء والرسل والمؤمنين، وهو
الطريق الذي أنعم الله على الذين سلكوه بالهداية والرشاد،

وهم الناس الذين حققوا رضا الله وغفرانه. يطلب المؤمنون من الله ألا يجعلهم من الضالين والمغضوب عليهم؛ أي الذين ضلوا عن الطريق المستقيم، أو الذين أثاروا غضب الله بسوء أفعالهم.

اندهش الجميع من غزارة معلومات الجدة، وقال الجد: ما شاء الله! تبارك الله! كل هذا عندك وأنا لم أعلم عنه شيئاً؟! بالفعل استفدنا من كل حرف نطقت به، هل استفدت يا معاذ؟ قال معاذ: بالطبع يا جدي، إنه كلام مبسط وجميل، وبالفعل به كثير مما قاله المعلمون في دار التحفيظ، بارك الله فيك يا جدتي.

وهنا قال الجد: كنت أتحدث بعد الظهر مع جدتك على أننا لا بد أن ننتهي اليوم من تفسير سورة الفاتحة وتدبرها وتأملها، وبالتأكيد من قصص الصحابة الكرام في الحديث الشريف الذي ذكرته لك؛ حتى نجتهد في العبادة في العشر الأواخر من شهر رمضان، وبإذن الله تعالى نكمل حديثنا بالتفصيل بعد شهر رمضان، ويقول: لنا أيام محددة نجتمع

كلنا نتدارس ونتأمل في القرآن الكريم، وفي أول من حمل القرآن الكريم، وأول من عمل به؛ حتى يكون لنا عونًا، ويكون عندنا فهمًا وتدبرًا يساعدنا في قضاء حوائجنا اليومية.

هز الجميع رأسه بالموافقة على كلام الجد، وقال الجد: الآن يا معاذ، قبل أن تكمل سأروي لكم قصة الصحابي الرابع وهو أبي بن كعب، وبعدها تستكمل أنت باقي تفسير آيات سورة الفاتحة، ما رأيك؟ قال معاذ: بالطبع يا جدي، كلنا أذان صاغية لك، تفضل.

قال الجد: قصة الصحابي الرابع والأخير بعد أن ذكرنا قصة الصحابي الجليل سالم مولى أبي حذيفة، ثم الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، وأخيرًا ذكرنا معاذ بن جبل -رضي الله عنهم أجمعين-، والآن أحدثكم عن الصحابي الجليل أبي بن كعب الذي ذكره الله من فوق سبع سماوات، وأمر نبيه -صلى الله عليه وسلم- أن يقرأوا عليه القرآن.

وها نحن على موعد مع الصحابي الجليل أبي بن كعب - رضي الله عنه-، إنه سيد القراء "أبو منذر الأنصاري النجاري المدني المقر البدري"، ويكنى أيضاً أبا الطفيل. شهد -رضي الله عنه- العقبة وبدراً، وجمع القرآن في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعرض على النبي -عليه الصلاة والسلام-، وحفظ عنه علماً مباركاً، وكان رأساً في العلم والعمل -رضي الله عنه-، وكان يكتب الوحي للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وهو أحد الذين كانوا يفتون على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وهذا الصحابي الجليل نشأ في ربا المدينة، معتزلاً الحياة والناس باحثاً عن المدبر لهذا الكون؛ ومن أجل هذه الغاية تعلم القراءة والكتابة، وعكف قبل بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- على ما كان يقع في يده من ورقات التوراة التي كان يتداولها اليهود الذين كانوا يجاورون المدينة، ولكنها لم تشفِ غلته، ولم تستطيع أن تجب عن الأسئلة التي تنبت في مخيلته، وعاش حائرًا يبحث عن الهدى،

وزاويًا يفكر في النبع، غريبًا في مجتمع مغلق في أمر
الحياة فلا يفكر لحظة في أمر السماء.

يكنى "أبا الفضل" وكناه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-
"أبا المنذر"

إن الرجال العقلاء دائمًا في صراع مع الدنيا ومع الناس،
ومن هنا يصابون بالقلق، ويُسيرون من المجتمعات،
ويتحاشون عبث الحياة ولهوها، وكان أبي من هذا
الطراز؛ أحس أن البشرية في فترة من الفترات قد ضلت
الطريق وألغت عقلها عندما اتجهت بالولاء والتقدير إلى
الشجر والحجر، يكون لهذا الجماد من القدرة على النفع
والضر ما ليس للإنسان؟! وإذا كان في مقدور هذه
الجمادات في تصور المشركين أن تقدم لهذا الإنسان
الضعيف ما يحمل حياته، ويسعد أيامه فمن خلق السماء
واجد الأرض؟

من الذي أقام الجبال الشاهقة وعمق البحار الزاخرة؟

من الذي يخرج النبات من الأرض؟

من الذي يسير الرياح ويرسل الغيث؟

من الذي بيده حق الحياة والموت؟

كانت هذه الأسئلة تلاحقه ليلاً نهاراً.

وفي ليلة من الليالي التي أراد الله فيها أن يسوق إلى هذا العبد الصالح أعظم هدية، وأجلّ منحة فشرح صدره للإسلام وذلك بعد أن وصل إلى سمعه خبر الحبيب صلى الله عليه وسلم، فذهب أبي إلى سعد بن الربيع وطرق بابه، وليسأله عن هذا الدين وإذ بسعد يخبره بمكان مصعب بن عمير الذي تعلم بين يدي الحبيب -صلى الله عليه وسلم- كيف تكون الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، فدعاه إلى الله، فانشرح صدره فأسلم وذهب إلى الحبيب -صلى الله عليه وسلم- وشهد بيعة العقبة.

وعاش أبي -رضي الله عنه- عبداً زاهداً، لا تميل نفسه إلى زخارف الدنيا، وزهرتها الثانية، فكان يقضي الساعات والأوقات في طلب العلم، وقراءة القرآن.

وظل على تلك الحالة إلى أن جاء الحبيب -صلى الله عليه وسلم- مهاجرًا إلى المدينة، فسعد أبي سعادةً لو وزعت على الكون كله لكانت كافية، فكان يلزم النبي -صلى الله عليه وسلم- ملازمة الإنسان لظله؛ ليقتبس من هديه وعلمه وأخلاقه السامية.

ولما كانت غزوة بدر دخل هذا العابد الزاهد فيها، وكأنه ليس في عرينه وخاض تلك الغزوة بكل بسالة وشجاعة وفداء.

وطوال سنوات الصحبة وأبي بن كعب قريب من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ينهل من معينه العذب المعطاء، وبعد انتقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى الرفيق الأعلى ظل أبي على عهد الوثيق في عبادته، وفي قوة دينه وخلقه، وكان دائمًا نذيرًا في قومه؛ يذكرهم بأيام الرسول -صلى الله عليه وسلم- وما كانوا عليه من عهد وسلوك وزهد.

ومن كراماته الباهرة التي كان يهتف بها في أصحابه:

لقد كنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ووجدناه وحده، فلما فارقتنا اختلفت وجوهنا يمينا وشمالا.

وقد ظل متمسكا بالتقوى، معتصما بالزهد فلم تستطع الدنيا أن تفتنه أو تخدعه؛ ذلك أنه كان يرى حقيقتها في نهايتها، فمهما يعيش المرء ومهما يتقلب في المنام والطيبات فإنه ملاقٍ يومًا يتحول فيه كل ذلك إلى هباء، ولا يجد بين يديه إلا ما عمل من خير، أو ما عمل من سوء.

أبي بن كعب أحب القرآن فرفعه الله به إلى أعلى المنازل: لقد أسلم قلبه قبل أن تسلم جوارحه، وعاش بكل أحاسيسه مع آيات القرآن وحروفه حتى بلغ به القرآن أعلى المنازل؛ فأصبح واحداً من بين أربعة كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يأمر أصحابه أن يأخذوا عنهم القرآن.

وقال الذهبي في معرفة القراء الكبار: أبي بن كعب أقرأ من أبي بكر، ومن عمر.

وعن أبي قلابة عن أبي المهلب قال: كان أبي يختم القرآن في ثمان.

الله يأمر رسوله -صلى الله عليه وسلم- أن يقرأ القرآن على أبي بن كعب:

ويا لها من منقبة يعجز اللسان عن وصفها، ويعجز القلم عن التعليق عليها ولو بكلمة واحدة!

لك أن تتخيل معي أيها الأخ أن الله قد ذكر اسمك من فوق سبع سماوات وليس ذلك فحسب، بل إن الله يأمر نبيه -صلى الله عليه وسلم- أن يقرع عليك بابك ويقول لك: إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن.

يقول الكاتب: تالله، لو كنت مكان أبي بن كعب -رضي الله عنه- لتمنيت أن ألقى الله في تلك اللحظة؛ لتكون تلك المنقبة هي خاتمة السعادة.

فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لأبي بن كعب: إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن. وفي لفظ: أمرني أن أقرئك القرآن. قال: أالله

سماني لك؟ قال: نعم. قال: ذُكِرْتُ عند رب العالمين؟ قال
نعم، فذرفت عيناه.

وعن أبي بن كعب قال: قال رسول الله -صلى الله عليه
وسلم-: يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك
أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: يا أبا المنذر،
أتدري أي آية من كتاب الله أعظم؟ قال: قلت: ﴿الله لا إله
إلا هو الحي القيوم﴾، قال: فضرب في صدري، وقال:
والله ليهنك العلم أبا المنذر.

ولقد كان عمر -رضي الله عنه- يقول عنه "هذا سيد
المسلمين"، وكان الصحابة يعلمون قدر أبي، يحملون له
كل الحب والتقدير في قلوبهم.

فعن أبي إدريس الخولاني أن أبا الدرداء ركب إلى المدينة
في نفر من أهل دمشق فقراً يوماً على عمر:

﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية﴾
[الفتح:26].

ولو حميتهم كما حموا لفسد المسجد الحرام.

فقال عمر: من أقرأهم هذا؟ قالوا: أبي بن كعب. فدعا به فلما أتى قال: اقرأوا. فقالوا كذلك، فقال أبي: والله يا عمر، إنك لتعلم أني كنت أحضر ويغيبون، وأدنى ويحجبون، ويصنع بي ويصنع بي، والله لأن أحببت الزمن بيتي فلا نحدث شيئاً، ولا أقرئ أحداً حتى أموت. فقال عمر: اللهم غفراً، إنا لنعلم أن الله قد جعل عندك علماً، فعلم الناس ما علمت.

بل لقد قال أبي بن كعب لعمر بن الخطاب: مالك لا تستعملني؟ قال: أكره أن يدنس دينك.

وحان وقت الرحيل:

وعاش أبي بن كعب -رضي الله عنه- بل وتعايش مع كل حرف من حروف القرآن حتى أنه يوم أن مات في خلافة عثمان -رضي الله عنه- قال الناس جميعاً: مات سيد المسلمين أبي بن كعب.

هكذا فإن من عرف قدر القرآن فإنه يعيش سعيداً، ويموت سيداً، ويبعث يوم القيامة مع ملوك أهل الجنة الذين أحبوا

الله وأحبوا كلامه، فأحبهم الله وقربهم إليه في جنته،
فرضي الله عن أبي وعن سائر الصحابة أجمعين، وإلى
هنا تنتهي قصة الصحابي الجليل أبي بن كعب.

وبذلك نكون قد انتهينا من معرفة قصص الصحابة الذين
ذكروا في الحديث الشريف الذي كان النبي -صلى الله
عليه وسلم- يأمر الصحابة أن يأخذوا عنهم القرآن، وهم
الأربعة: عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة،
ومعاذ بن جبل، وأخيرًا أبي بن كعب، رضي الله عنهم
وعن الصحابة أجمعين.

وهنا تقدر أن تكمل يا معاذ، كنت وصلت إلى "إياك نعبد".
بدأ معاذ وقال: تفسير "إياك نعبد" فالأولى أثنى على الله
-جل وعلا- بأنواع الثناء، ثم قال: "إياك نعبد وهذا الفعل
نعبد".

وأول أمر في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُم﴾
[البقرة: 21].

والعبادة هي المقصودة في هذا المقام؛ لأن الابتلاء إنما حصل في عبادة الله -جل وعلا-، فالعباد يعبدون ربهم وحده دون ما سواه ولا يشركون به شيئاً.

لِمَ جاءت "إياك نعبد" بعد ما سبق؟

فالجواب: قال أهل العلم؛ لأن العبادة لها أركان ثلاثة بما يدينها مجتمعة تكون العبادة موجودة شرعاً، وتلكم الأركان الثلاثة هي: الحب، والخوف، والرجاء.

وهنا ننتبه إلى أنه لما قال "الحمد لله رب العالمين" ذكرنا أنه فتح باب المحبة.

ولما قال "الرحمن الرحيم" فتح باب الرجاء.

ولما قال "مالك يوم الدين" فتح باب الخوف.

فالعبد يقول "إياك نعبد" إن كان يعقل، وقد قام في قلبه ما قام من المحبة والخوف والرجاء.

وهنا نأتي لمعرفة معنى العبادة في اللغة والشرع:

العبادة في اللغة: الخضوع والذل، أو الذل وحده.

وقال العلماء: العبادة في الشرع غاية الحب مع غاية الذل،
كما ذكر ابن القيم في النونية وذكره غيره أيضًا.

يعرف شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية -رحمه الله- العبادة
بأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله من الأقوال والأعمال
الظاهرة والباطنة.

تفسير "إياك نستعين" فيه إفراده -جل وعلا- بالاستعانة.
قال العلماء: أُخِرَت الاستعانة مع أن طلب العون يكون
من جهة الرب، فيرجع إلى معنى الربوبية، قال: "إياك
نعبد وإياك نستعين" لمناسبة عظيمة وعرض عظيم،
وذلك أن العبد الموحد الذي يقول "إياك نعبد" لا يمكنه أن
يوحد إلا بأن يكون مستعينًا بالله -جل وعلا- وحده في
ذلك، ألا فإن الشيطان يكتنف ويستحوذ على البشر فهنا
قال "إياك نعبد وإياك نستعين"

وفي تفسير "اهدنا الصراط المستقيم": اهدنا يا الله، اهد
بمعنى دعاء وهو فعل أمر، وفعل الأمر كما هو مقرر إن

كان لمن هو أرفع من الأمر فإنه دعاء، وإن كان القرين فإنه التماس، وإن كان لمن هو دونه فهو أمر.

فقوله "اهدنا الصراط المستقيم" من رحمة الله -جل وعلا- بالعبد أن أنزل هذه الآيات؛ لكي ندعو بها، والهداية هنا مطلوبة من الله -جل وعلا-.

ومعنى الهداية في اللغة والشريعة؛ تعني دلالة وإرشاد.

والهداية في نصوص القرآن على أربعة أنواع:

الأولى: هداية غريزية؛ بمعنى هداية الله -جل وعلا- الخلق لما يصلح لهم غريزة، وهذا كقوله -جل وعلا-:

{قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى} [طه:50].

الثانية: الهداية بمعنى الدلالة والإرشاد ما يصلح في أمر الدين.

الثالثة: الهداية التي هي التوفيق الذي يختص به من اهتدى، التي هي نتيجة الدلالة دل وأرشد فهل يقبل أم لا يقبل؟ يحتاج هذا في القبول إلى توفيق، ولهذا قيل "هداية

توفيق"؛ يعني نتيجة للهداية التي سبقت وهي "هداية الدلالة والإرشاد"، وهذه كما في قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص:56]؛ يعني لا توفيق لمن أحببت ولكن الله يوفق من يشاء.

وأما الرابعة: وهي أعظمها وأجلها وغاية جميع أنواع الهدايات، وهي الهداية إلى طريق الجنة، والهداية إلى طريق النار؛ هداية المؤمنين إلى طريق الجنة كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سِيهِدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِهِمُ﴾ [محمد:4].

قال العلماء: قال عنهم أنهم قُتِلُوا ﴿وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ في الآخرة، وهم قد قتلوا، فالهداية ليست هداية الدنيا وإنما هي هداية الآخرة.

قال أهل التفسير: "سيهدهم" إلى طريق الجنة، نسأل الله العظيم الكريم فضله، اللهم آمين. الإلحاديون

وكذلك الهداية إلى طريق النار، قال -جل وعلا-:
﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ [الصافات:23]، سلم يارب
سلم، والعياذ بالله.

وفي تفسير "الصراط المستقيم":

﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ الصراط المستقيم؛ المراد به
صراط الدنيا وصراط الآخرة، أما صراط الآخرة فقد
ذكرت لكم معناه، وأما صراط الدنيا فقد اختلفت أقوال
المفسرين من السلف في معناه:

فقال بعضهم هو "القرآن"، وقال آخرون هو "الإسلام"،
وقال آخرون هو "السنة"، وقال آخرون هو "اتباع النبي
-صلى الله عليه وسلم-"، وقال العلماء كابن جرير، وابن
كثير، وشيخ الإسلام كل هذه الأقوال مؤداها واحد؛ لأن
من التزم بالقرآن التزم بالإسلام، والتزم بالسنة، واتباع
النبي -صلى الله عليه وسلم-، والله أعلى وأعلم.

وفي تفسير "صراط الذين أنعمت عليهم"؛ أي الصراط
هو الحق، هو الصراط والسبيل الذي سلكه من أنعم الله

عليهم، وهذا لا يقع معه الاشتباه؛ لأن من الناس من لا يحسن معرفة حقيقة الشيء ومن حيث هو؛ لأنه يحتاج إلى علم، إلى نظر واستدلال، ولكن إذا نظر إليه من جهة من سلكه فإنه يقع به تعريف أخص، وهذا من فوائد التعريف بعد التعريف، فالله -جل وعلا- قال: "اهدنا الصراط المستقيم" وهذا تعريف له بقول الصراط؛ يعني أنه معروف، معهود وصفه، معهود حقيقته.

وقال بعدها "صراط الذين أنعمت عليهم" إذا لم يصل العبد إلى معرفة حقيقته التي قال فيها "الصراط المستقيم" فإن حقيقته تعرف بالسالك فيه، فمن هو السالك لهذا الصراط إذا وقع الاشتباه؟

هو الذي ذلك عليه الله -عز وجل- الواحد الذي لا يتعدد، قال سبحانه: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾؛ الذين أنعمت عليهم هم أهل تقوى، أهل تحقيق الإسلام له؛ لأن الله -جل وعلا- بين في سورة البقرة أن كثيرين ادعوا أنهم سيدخلون الجنة من بين سائر الفرق والملل، فقال سبحانه:

﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى﴾
[البقرة:111]، ثم بين البرهان الذي يستحقه من يدخل
الجنة وفي نهاية الصراط، وهو الغاية التي شمر إليها
المشمرين، وساروا على هذا الصراط ليسيروا إليها بعد
رضا الله -جل وعلا-، وبعد رحمته فقال بعدها: ﴿تلك
أمانيتهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ ﴿بلى﴾؛ يعني
بلى سيدخل الجنة ﴿من أسلم وجهه لله وهو محسن﴾ يعني
من جمع بين هذين الوصفين؛ تحقيق الإسلام وتحقيق
الإحسان في العمل والمقال والاعتقاد.

بين لنا -جل وعلا- أيضًا في سورة النساء هؤلاء الذين
أنعم الله عليهم على وجه التعيين، فقال سبحانه: ﴿ومن
يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من
النبیین والصدیقین والشهداء والصالحین وحسن أولئك
رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً﴾، فبين سبحانه
أن الذين أنعم الله عليهم الذين نسب إليهم هذا الصراط؛
لأنهم هم الذين سلكوا على نور من ربهم، وعلى برهان

صحيح من ربهم، هم النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين.

قال تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ (6) صراط الذين
أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم﴾

هذا فيه إسناد الإنعام إلى الله، وهذا فيه تنبيه فإنهم سلكوا
هذا الصراط الذي نصبه الله إليهم بقوله: ﴿صراط الذين
أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم﴾، ومع أنه أضاف
الصراط إليهم في هذا الموضع لكنه نبه على أن سلوكهم
لهذا الصراط إنما هو من جهة إنعام الله عليهم لا من جهة
أنفسهم، فقال: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾.

وهذا فيه إبعاد للقلب عن الغرور بالنفس، وعن الثقة بها،
وعن اعتقاد أنه وصل إلى الاستقامة والثبات عليها، أو
سيثبت عليها عن طريق جهده واجتهاده، بل إنه لا غنى
للعبد عن الله طرفة عين فسلك لهذا الطريق ما سلكه إلا
بانعام الله عليه فهو -جل جلاله- الذي هدى إليه ﴿اهدنا
الصراط المستقيم﴾، وهو الذي دل عليه، وهو الذي أنعم

به سلوكًا؛ يعني وفق آية، فمبتدأ الأمر من الله ومنتهاه إلى الله، والله بعد ذلك يثبت السائرین على الصراط، وهذا أعظم ما يكون من الرحمة والكرم والمنة والإحسان! يرشد إليه، ويوفق إليه، ويهدي إليه، ثم بعد ذلك يثبت العبد وهو المنعم المتقدم، وهذا لا شك يجعل القلب في محبة بعد المحبة، وفي تجرد بعد التجرد، وفي حسن التوكل على الله، وتفويض الأمر إليه، وهضم النفس عن حقوقها.

وبعد ذلك الشرح قام الشيخ بوقفة وقال تذكيرًا بما سبق: وقال: الفاتحة هي السورة العظيمة التي فيها أصول العقائد، وأصول السلوك، وأصول الأحكام؛ ولهذا سميت "أم القرآن".

﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم﴾ [الحجر: 87]، هي القرآن العظيم، هي السبع المثاني، هي أم الكتاب؛ لِمَا اشتملت عليه من أصول عظام.

قال تعالى: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ هؤلاء صراطهم واحد، وأما غيرهم فهم على سبيل كما جاء في القرآن، أو كما يعبر بعضهم على صراط مختلفة، لكنها صُرِّطُ لا توصف بالاستقامة، أو هي سبل ليست بصُرِّطٍ أصلاً، قال سبحانه: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبع السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون﴾ [الأنعام:153]

مكسرات الطريق إلى الله وغير هذا الصراط سبل، في كل سبل منها شيطان يدعو الناس إلى ذلك السبيل.

لا حصر لها ولا عدد، تتنوع وتتفرع وتتشعب باختلاف الأزمنة والأمكنة، ولكن صراط الله واحد إضافة إلى نفسه لتعرف، وإضافة إلى أوليائه السالكين فيه لتعرفوا، ثم بين أيضاً ما به يعرف هذا الصراط، وهو أنه مخالف طرق الهالكين.

وجاء في تفسير ﴿غير المغضوب عليهم﴾:

كما هو الراجح في هذا الموضوع عند جميع أهل التفسير،
وقال بعض العلماء أن "غير" هنا استثناء مثل حاشا وكلا.
مثلاً تقول دخل الرجال غير محمد؛ يعني إلا محمداً، وهي
للاستثناء فقالوا إن قوله ﴿غير المغضوب عليهم﴾ هذا
استثناء منقطع عما سبق يعني ﴿اهدنا الصراط
المستقيم﴾ (6) صراط الذين أنعمت عليهم

لكن صراط المغضوب عليهم وصراط الضالين لا نريده،
ولا نبغيه، ولا نختاره، وهذا فيه نظر من جهة العربية،
ومن جهة المعنى المتقرر هنا.

تفسير ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾:

"المغضوب عليهم" هم اليهود، و"الضالون" هم
النصارى، صح بذلك الحديث عن رسول الله -صلى الله
عليه وسلم- كما رواه الترمذي وغيره، وحكى اتفاق
المفسرين على ذلك.

"المغضوب عليهم" هم اليهود؛ لأن الله -جل وعلا- وصفهم في القرآن بأن غضب عليهم في غير آية كقوله تعالى:

﴿فباؤوا بغضب على غضب﴾ [البقرة:90]، وقوله: ﴿وغضب الله عليهم﴾ [الفتح:6]، ونحو ذلك، وهم مع كونهم مغضوب عليهم هم أيضاً ضالون.

وهنا قال العلماء سؤال: لِمَ وصف النصارى بالضلال مع أنهم مغضوب عليهم أيضاً، ووصف اليهود بالمغضوب عليهم مع أنهم ضالون أيضاً؟

الجواب: قال العلماء؛ لأن أخص صفات اليهود أنهم مغضوب عليهم وأن أخص صفات النصارى أنهم ضالون.

فوصف أولئك وهؤلاء بأخص الصفات التي تضاف إليهم. نعم اليهود ضالون لكن ضلالهم أشد؛ لأنهم مغضوب عليهم، والنصارى ضالون كما قال -جل وعلا-

:

﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾ [المائدة:77]؛ والمقصود أنه غضب على اليهود وذكر العلماء سبب الغضب أنهم علموا فخالفوا، علموا علمًا بيِّنًا، وأقيمت عليهم الحجج المتنوعة، واستبان الحق، ووضح لهم، ولكنهم خالفوا على يقين وعن معرفة ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ [البقرة:146].

حرموا الحلال وهم يعلمون أنه حلال، وأحلوا الحرام وهم يعلمون أنه حرام، غيروا حدود الله وهم يعلمون أنها حدود الله، فلذا وصفوا بأنهم مغضوب عليهم، والغضب جاء على اليهود جميعًا مع أن الذي فعل تلك الأفعال إنما هم علماءهم، وهذا يدل كما ذكر الطائفة من أهل العلم على أن العامة تتبع العلماء في الحكم وهذه مسألة مهمة.

وقال عن النصارى "ولا الضالين"؛ يعني ولا صراط الضالين، والمضلين جمع تصحيح للضلال، والضال اسم فاعل من الضلال، أو اسم لمن قام به الضلال.

وجاء تعريف الضلال لغةً وشرعًا:

اللغة أو الضلال في اللغة: هو النسيان، قال -جل وعلا-:
﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾
[البقرة:282].

وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [السجدة:10]؛ يعني نزلوا حالهم إذ انتهت لحومهم وعظامهم في الأرض منزلة من نسي وتفرق بحيث لم يعد شيئًا مذكورًا.

والضلال المساعي؛ يعني أطلق على من خالف الحق عن غير علم نسيانًا، أو إعراضًا عن الحق مع عدم علمه به، وهذا ظاهر الصلة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي.

"الضالين" وهم النصارى؛ لأنهم تعبدوا بعبادات على جهالة، ضلوا وهم ليسوا من الذين تعمدوا ذلك، وقد

أوضح الله -جل وعلا- هذا في سورة الحديد بقوله:
﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان
الله فما رعوها حق رعايتها﴾ [الحديد:27].

وهذا في التحذير من سبيلين وقعا في هذه الأمة:

السبيل الأول: سبيل من شابه اليهود.

السبيل الثاني: سبيل من شابه النصارى.

والناس الذين يتلون هذه الفاتحة في هذه الأمة إما علماء
فعلاً، أو في حكمهم من طلب العلم، أو منتسبون إلى نحو
ذلك، وإما متعبدون ليسوا علماء، ولا منتسبين إلى العلم،
وهذان الصنفان في الأمم مما يتلون هذه الفاتحة
ويحافظون عليها في صلاتهم.

والله -جل وعلا- بعد أن ذكر الصراط ذكر وصفه باعتبار
السالكين، وذكر ما يتميز به هذا الصراط باعتبار
الهالكين، وهم الذين علموا فخالفوا العلم، -نسأل الله -جل
وعلا- العافية- واتبعوا أهواءهم، والذين تعبدوا لله -جل
وعلا- على جهل.

وأخيرًا اشتمال سورة الفاتحة على الدعاء:

وإذا تبين هذا فنرجع إلى قوله: ﴿اهدنا الصراط
المستقيم﴾ (6) صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين﴾

فلاحظ أن هذا الدعاء أنزله الله جل وعلا؛ ليرشد العباد
إليه، ويبين لهم هذا الطريق، فهو -جل وعلا- ينبه العباد
في دعائهم هذا إلى ما ينبغي أن يكون في قلوبهم؛ لأن
الداعي حين يدعو يستحضر ما يدعو به، فحين يقول
"اهدنا الصراط المستقيم" يسأل الله الهداية بهذا الصراط،
وهو يتكلم أيضًا بوصف هذا الصراط يخاطب ربه بذلك
بقوله "صراط الذين أنعمت عليهم" معنى ذلك أنه راغب
في سلوك صراط المنعم عليهم.

وقال "غير المغضوب عليهم ولا الضالين"؛ يعني أنه غير
راغب ولا محبوس ولا بقريب ولا يرغب، بل يستعيذ
بالله من صراط الذين خالفوا عن علم وصراط الذين
تعبدوا عن جهالة، فترى أن هذه الآيات أعطت الهداية

للقلب من جميع جهاته، بحيث أنه لو تأمل هذا الدعاء على حقيقته استغلقت عليه مداخل الشيطان.

فهذا الصراط "اهدنا الصراط المستقيم" بإضافته إلى الله، وحاجة العبد إلى هذه الهداية، حيث سأل الله -جل وعلا- ذلك يقول بقلبه أنه مع هؤلاء الذين أنعم الله عليهم؛ وهم أهل طاعة الله، وطاعة رسوله، وأهل تقوى، ثم يقول بقلبه بغضه وعدم رغبته وكرهته صراط الذين علموا فخالفوا العلم والذين تعبدوا عن جهالة، هؤلاء الأصناف كثروا في هذه الأمة جدًا؛ أعني الذين تعبدوا عن جهل، والذين علموا فتركوا العلم في العقائد، وفي العبادات، وفي الفقه، وفي السلوك إلى آخره، وكذلك الذين تعودوا على غير بصيرة.

وأخيرًا الكلام على "أمين":

وشرعوا لمن أتم الفاتحة إذا كان في صلاته أن يقول بعدها "أمين"، وهذا اسم فعل بمعنى استجب، وتكون "أمين" محددة وتكون مكسورة "أمين" وهي لغة صحيحة.

وكما أوضحوا أن "أمين" ليست من الفاتحة، ولكنها دعاء
بمعنى استجب.

والمؤمن أحد الداعين؛ يعني إذا تلا الإمام الفاتحة ودعا
بهذه الدعوات فقال المؤمن بعده "أمين" فكأنه شاركه في
الدعاء؛ يعني كأنه قال هذا الدعاء من أوله إلى آخره لنفسه
ولمن معه، ودليل ذلك قوله تعالى في سورة يونس:

﴿وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا
في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على
أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب
الأليم﴾ [يونس:88].

وهنا نرى من الذي دعا هذا الدعاء؟ الداعي هو سيدنا
موسى -عليه السلام-، ثم قال -جل وعلا- في الآية التي
بعدها: ﴿قال قد أجيبك دعوتكما﴾ [يونس:89].

قال المفسرون؛ لأن هارون أمَّن فقال "أمين" بعد دعاء
سيدنا موسى، والمؤمن أحد الداعين؛ كأنه دعى الدعاء
بمفرده له ولأخيه، ولهذا يحرم الخير من لا يؤمن في

الصلاة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين.

وهنا ظهر الإعجاب والاندعاش من الجميع، وبالأخص
الجدّة التي تحضر لأول مرة والحفيد يتكلم، فقالت: ما شاء
الله يا معاذ! تبارك الله! كل هذا عندك وتبخل علينا به؟
فابتسم معاذ وقال: قال لي جدي وأبي وأمي مثل هذا
الكلام، ولكنني لم أخفي شيئاً، فأنا أدارس ذلك التفسير،
وأرجع إلى دار التحفيظ، ويسألونني عن أجزاء منه،
وأمي تساعدني في الفهم، ولكنني استفدت كثيراً مما
علمت حتى وأنا أقرأ سورة الفاتحة أكون متيقناً من كل
كلمة فيها، وهذا يعطيني تمهل في القراءة؛ لأنني أعلم أن
كل كلمة لها معنى، ولها مدلول، فلا بد أن أنطق كل كلمة،
أو أسمع كل كلمة من الإمام، وأؤمن عليها حتى يجازيني
الله بالأجر إن شاء الله.

قال الجميع: ما شاء الله! تبارك الله! وهنا قال الجد: هل يا معاذ تعلم ما المراجع التي من خلالها تأخذ هذا العلم حتى نأتي بها أو نبحث عنها هنا؟

قال معاذ: في الفاتحة قال لنا الشيخ يوجد مرجع يشمل سورة الفاتحة، فنحن نحاول تلخيص هذا المرجع وإخراج ما به من معلومات، ويمكنكم بعد ذلك الاستعانة بهذه المراجع في حال عدم فهم أي تفسير، أو أي تأمل لم يتأملوا فيه جيدًا، وهنا فرَّ معاذ مجلده حتى يعود للصفحة الأولى وقال: اسم المرجع هو "الفاتحة أم القرآن وسر الصلاة تفسير وتأمل"؛ وهذا عبارة عن محاضرة لمعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ".

وهنا تأثر الجد فقال: تعلم يا معاذ؟ بل تعلموا جميعًا؟ كنت صغيرًا أحلم بتغيير العالم من حولي، فالحياة لم تكن أفضل شيء، أو أنا لم أكن أرها أفضل شيء؛ لأنني كنت أقارن بيتنا ببيوت الآخرين، وأعود إلى أمي أشتكى لها لما كان في مخيلتي من أحلام، ولكنني وجدت العالم أكبر

من أن يسمح لي بالتأثير فيه، وعندما أصبحت شابًا ودخلت الجامعة أردت تغيير بلدي، لكنها هي أيضًا لم تستجب، وعندما أصبحت دكتورًا جامعياً حاولت تغيير عائلتي إلا أنني وجدت اختلافات كثيرة بين الأعمار بين عائلتي الصغيرة وهي أيضًا أبت أن تتغير، واليوم وأنا بعد سن التقاعد عرفت أنه كان عليّ من البداية أن أغير نفسي كما أتمنى أن أكون، ووقتها كان من الممكن أن أوثر في عائلتي، وبعدها جلست معك يا معاذ، وتحدثنا كثيرًا، وتعلمنا أكثر من تدبر وتفسير آيات القرآن، أحسست نفسي في جنة من النور، أصبح عقلي دائمًا يفكر في الحمد في السراء والضراء، وعلمت جيدًا أن لكل حادث حديث، أصبح دائمًا قلبي مطمئنًا أن الكرب سيزول ويتبدل - بإذن الله - بفرج، أصبحت لا أمل من التدبر في آيات القرآن، وتعلم ما فيه من حكم ومواعظ؛ لأنني فيها وجدت الحقائق التي استعجلتها، أو التي لم أعلمها.

وهنا تدخلت الجدة حتى توقف التأثير الذي حدث، وقالت:
عندي بعض القصص عن سورة الفاتحة أحب أن أشاركها
معكم. فأنصت الجميع إليها وقال: بالطبع، تفضلي.

قالت: هناك العديد من القصص المروية عن فضل سورة
الفاتحة وتأثيرها الإيجابي على النفس والروح، فمنها:

أولاً: قصة الرجل المجاهد: كان هناك رجل مجاهد في
سبيل الله، وكان يقاتل في ساحة المعركة، وفي إحدى
المعارك أصيب بجروح خطيرة ولم يكن لديه أي ماء
للشرب، فقرر أن يقرأ سورة الفاتحة ويشرب من الماء
الذي يجري بجواره، وبعد قراءته للسورة شرب الماء،
ولم تزل جروحه تتحسن وأصبح بخير.

ثانياً: قصة الرجل الذي كان مصاباً بالسحر: كان هناك
رجل مصاب بالسحر، وكان يعاني من آلام شديدة في
الجسم، فجاءه شخص ونصحه بقراءة سورة الفاتحة،
وبعد قراءتها عدة مرات تحسنت حالته، وتم شفاؤه بفضل
الله.

ثالثًا: قصة الرجل الذي كان يعاني من المرض النفسي:
كان هناك رجل يعاني من مرض نفسي خطير، وكان
يعاني من الكثير من المشاكل في الحياة، فبعد قرائته
لسورة الفاتحة عدة مرات، شعر بالراحة والسكينة
وتحسنت حالته النفسية.

وهناك العديد من القصص والأحاديث التي تشير إلى
فضل سورة الفاتحة، فهي تعد من أهم السور في القرآن
الكريم، وتحمل في طياتها الكثير من الخير والبركة، هذا
والله أعلم.

الجميع منشرح لجمال الكلمات وقال الجد: الآن قد انتهينا
بفضل الله من التفسير والتأمل والتدبر في سورة الفاتحة
التي هي بداية المصحف، وأيضًا حدثكم عن الصحابة
الأربعة الذين قال فيهم رسول الله: خذوا القرآن من أربعة،
ويوجد كما ذكرت أحاديث كثيرة لنفر غيرهم، فأنا أقترح
-إن شاء الله- بعد العيد أن نكمل هذه الجلسات الممتعة،
نحدد يومين في الأسبوع في وقت يناسب الجميع، ونجلس

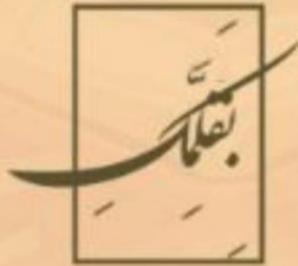
ونتداول ونتناقش، وعلمتم أن معاذ وصل إلى الآية 60 من سورة البقرة. وهنا رد معاذ: أضف 5 يا جدي. ابتسم الجميع وقال الجد: حتى الآية 65 من سورة البقرة بتفسيرها، وهذا سيكون موضوع نقاشنا -بإذن الله- بعد أن يعيننا الله على الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان، نسأل الله أن يعيده علينا بالخير والبركات أعوامًا عديدة، ولا بد أن نُذكر أنفسنا بما قلناه في الجلسات مرارًا وتكرارًا؛ حتى نستحضر عظمة الآيات، وحتى تكون بصلاتنا متعة خاصة، وتكون لقراءة القرآن تدبر معانٍ جميلة، فالقرآن علمي بل هو العلم الشامل الذي فيه الصلاح والفلاح، فنسأل الله -العلي العظيم- أن يعيننا على فهم وتدبر ما قرأناه والعمل به والاستمرار عليه، وأنا قد استعنت بمرجعين في قصص الصحابة، وهم: أصحاب الرسول -صلى الله عليه وسلم- الجزء الأول، والجزء الثاني.

وأخيرًا أضيف حديث لرسول الله ﷺ يقول: (من أراد الدنيا فعليه بالقرآن، ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن، ومن أرادهما معًا فعليه بالقرآن).

بقلم (ك) للنشر الإلكتروني

شذير

لا يستوي من يتلو هذه الآيات وهو يعقل
معانيها ويفهم دلالاتها مع من يردّها
بلسانه وقلبه مشغولٌ عنها أو جاهلٌ بها.
وما أعظم أن تكون الصلاة مناديةً لله - جلّ
وعلا - بهذه السورة العظيمة.



بقلم (ك) للنشر الإلكتروني

قصص / عمير محمد